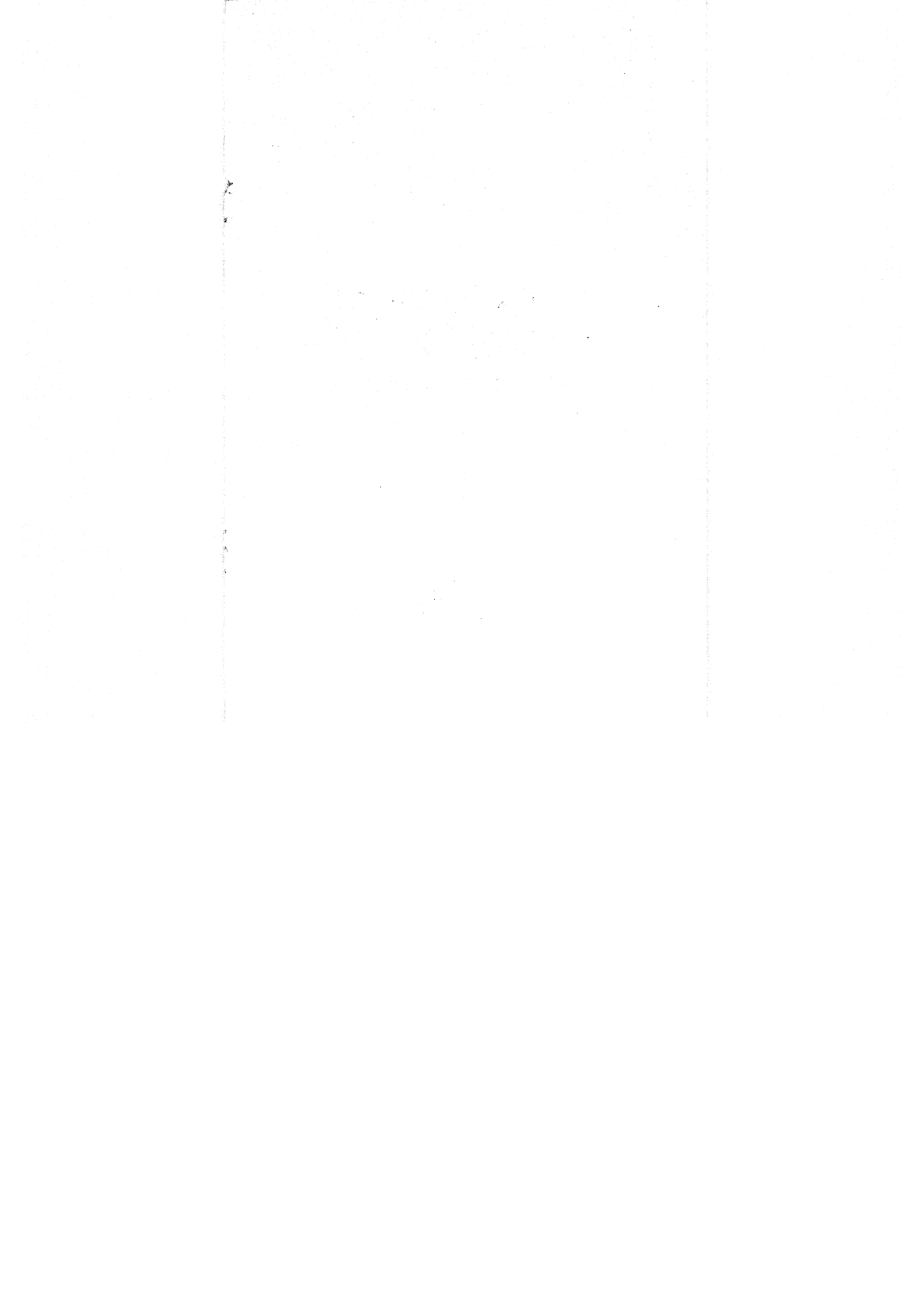
دكتور السيد عبد القادر عويضة
كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر

أثر الإسلام في الشعر

فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م

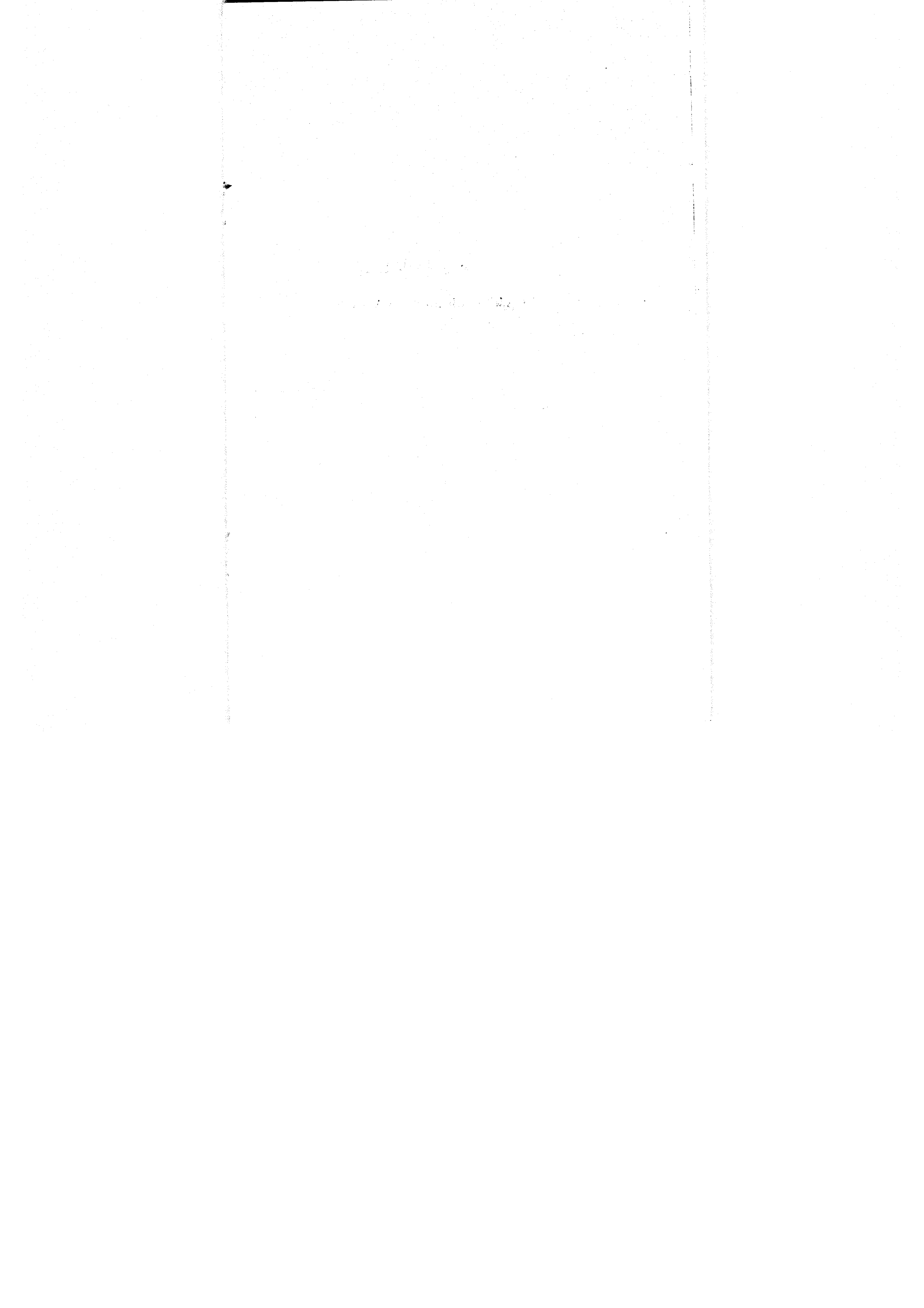




بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا تقبــل منا انك انت السميع العليم »

قــرآن كريم



مقدمـــة

نحمد الله تبارك وتعالى حمد الشاكرين ونصلى ونسلم على النبى العربى الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعــلى آله وصحبه والتــابعين باحسان الى يوم الدين ...

وبعــد :

فقد ولد النبى صــلى الله عليه وسلم ســنة احدى وســبعين وخمسمائة للميلاد وبعث بالرسالة سنة احدى عشرة وستمائة للميلاد، وسمى العصر الذى بدأ برسالته صلى الله عليه وسلم وانتهى بموت رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه بعصر صدر الاســلام .

وكان عصر خير وبركة ورحمة للعالمين ، أوحى الله تعــالى فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمره بأن يرفع عقيرته بقــول الله تعالى لقومه وللناس جميعــا : « قل يا أيها الناس انى رســول الله اليكم جميعا » .

وما كاد رسول الله صلى الله عليه وســلم يرفع صوته مخــبرا قومه بأنه رسول الله الى الناس جميعا ، الا وقد انفضوا من حوله ، ومن يومها والمعركة بين الحق والباطل ماثلة ، والحرب لا تضع أوزارها أبدا ، بين من شرح الله صدورهم للاسلام وبين من طمس الله على قلوبهم فأعمى أبصارهم وبصائرهم .

وظل النبى صلى الله عليه وسلم يلاقى من ايذاء المشركين وعنتهم فى قريش ، حيث دأبوا على وضع العراقيل فى طريقه حتى يوصــدوا الأبواب دونه ويجبروه على اختصار طريق الدعوة ، ولكن ذلك كله

لم يفل من عزمه ، ومضى فى طريق الدعوة قدما لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولم يثنه عن دعوته الرغب أو الرهب .

ولكن حين هاجر صـلى الله عليه وسلم الى يثرب وهـاجر معه صحبه الكرام والتقى الجميع بالأنصار ، وكون المسلمون جبهة قوية يحدوها الايمان ويكللها الاخلاص لله ولرسوله . حينئذ أمـرهم الله تعالى بأن يردوا الأذى عن أنفسهم بقوله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ...) .

وعندئذ تصـدى رسول الله وأصـحابه للمشركين وحـاربوهم انتصارا لله ولرسوله وللدعوة الاسلامية . وكان التصدى للمشركين يجمع فيه المسلمون بين الأمرين معا : السنان واللسـان . وذلك لأن العرب قد جبلوا فى معاركهم على الحرب بالسيف والتراشق بالقصائد الشعرية التى تجمع فى ثناياها هجاء مقذعا وقعه عليهم أشد وأنكى من وقع السـيوف الصوارم .

والمعروف أن القرآن الكريم حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لفت أنظار المسلمين — فضلا عن غيرهم من العرب — الى بيانه وفصاحته وبلاغته واعجازه لدرجة أن بعضا من الشـعراء الذين برزوا فى الشعر فى العصر الجاهلى وقد بلغوا شأنا عظيما فيه حين أسلم شغله اسلامه والتدبر فى كتاب الله وسنة رسوله عن نظم الشعر وانشاده ، كلبيد بن ربيعة الذى أسلم وحسن اسلامه وأضرب عن قول الشعر جملة .

يقول ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) عن لبيـد : « ولم يقل فى الاسلام الا بيتا واحدا واختلف فى البيت . قال أبو اليقظان : هـو :

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى حتى كسانى من الاسلام سربالا

وقال غيره : بل هو قوله :

ما عاتب المرأ الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح »

ويقول ابن قتيبة أيضا فى (الشعر والشعراء) : « وقال له عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : أنشدنى من شعرك • فقرأ سورة البقرة وقال : ما كنت لأقول شعرا بعد اذ علمنى الله سورة البقرة وآل عمران فزاده عمر فى عطائه خمس مائة درهم ، وكان ألفين »(١) •

ولكن ليس معنى ذلك أن كل من أسلم من الشعراء قد غض عن نظم الشعر وأضرب عن القول فيه • فهناك من الشعراء من قيضهم الله تعالى لنصرة دينه والذب عن حياضه بشعرهم الى جانب سيوفهم • وقد أهاب بهم رسول الله صلى اللهعليه وسلم أن ينصروه باللسان الى جانب الرمح والسنان حيث قال صلى الله عليه وسلم للأنصار : « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسيوفهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ • ويقول لحسان بن ثابت خاصة : « أهجهم — أى قريشا — فو الله لهجاؤك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس يؤيدك • والق أبا بكر فهو أعلم الناس بأنساب القوم »(٢) •

ومضى الشعراء الذين أسلموا يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن رسالته ودعوته دفاعا قويا بسيوفهم وشعرهم •

ولما كان العرب أصحاب فصاحة وبلاغة وبيان ، كانت الكلمة لها

---

(١) الشعر والشعراء ٢٧٤/١ وما بعدها •
(٢) الاغانى جـ ١٣٥٧/٤ •

بتوى هائل فى محيطهم وكانت عليهم أشد من وقع السهام فى غبش انظلام كما قال النبى صلى الله عليه وسلم .

هذا وقد اتسعت رقعة الأدب الاسلامى الذى بدأ ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم وازدهرت دولته وارتفعت هامته . وأضحى للأدب بعد أن انقشع ظلام الجاهلية عصر جديد له سماته وخصائصه الجديدة التى يختلف بها عن خصائص الأدب الجاهلى فى بعض الأمور أو فى أكثرها . فبعد أن كان الشعراء فى العصر الجاهلى يدورون فى فلك من الموضوعات والأغراض الشعرية المتعارف عليها فيما بينهم من المديح والهجاء والرثاء والوصف والفخر ، وتبدأ هذه الأغراض جميعها بالغزل التقليدى أو ببكاء الأطلال وتتخللها الحكم والأمثال ، وتتعدد فيها الأغراض ، ويغلب على أخيلتهم وصورهم التقارب فى المنزع،لأنهم جميعا ينتزعونها من البيئة التى يعيشون فيها، كما يغلب على قصائدهم خشونة الألفاظ لأنها لغاتهم المتداولة فيما بينهم . وبينها وبين الصحراء التى يعيشون عليها وشائج القربى ووثيق الصلات .

ويغلب على شعرهم كذلك النزعة الحسية فيما أتوابه من مجازات عقلية أو لغوية . وأكثر ما نقف عليه من تشبيهاتهم واستعاراتهم ، انما تكون فى المحسات ، كما يميلون فى وصفهم الى الدقة والاستقصاء ... الى غير ذلك من سمات شعرهم .

ولكن حين جاء الاسلام بقرآنه وحديث رسوله ، وما فى هذين من معان جديدة وروح جديدة ومبادىء وقيم ومناهج جديدة ، غير من هذه السمات وهذبها ووضع للأدب فضلا — عن الحياة بعامة — ضواط جديدة وأمر باتباعها . ولأن الأدب ديوان العرب وسجل حياتهم فأراد الاسلام أن ينظف هذا الديوان وذلك السجل مما فيه من شوائب العرب قبل الاسلام ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعدم النظم فى الخمر لأنها محرمة فى الاسلام فلا داعى للحديث عنها وعن ساقيها وعن مجالس الأنس والطرب التى كانت تعقد لها . كذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهجاء الفاحش الذى يمس أعراض الناس وشرفهم وجعل الهجاء بالكفر والضلال وحين كان صلى الله عليه وسلم يحض حسانا على هجاء المشركين فكان ذلك للرد على هجائهم وكان بالكفر والبعد عن حظيرة الاسلام كذلك نهى عن الفخر بالاحساب والأنساب وجعل الفخر بالاسلام وروح الايمان ، وهذا ما حدث مع حسان فى رده على شعراء الوفود الذين فخروا بآبائهم وأجدادهم وبما لهم من مواقف ومعارك انتصروا فيها بالسيف حتى ولو كانوا ظالمين .

كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التشبيب والغزل الصريح الفاحش الذى يمس من المرأة عفافها وطهارتها وينال من شرفها وكرامتها . وأباح الغزل العفيف الذى يتحدث فيه الشاعر عن اللقاء الطاهر أو عن الأشياء الظاهرة التى لا يتطرق بها الشاعر الى ما دون هذه الأشياء .

وبالنسبة لشعر المديح فقد استجاد رسول الله وأصحابه الشاعر الذى يمدح الرجل بما فيه ، وقد أثنى عمر بن الخطاب على زهير ابن أبى سلمى ، لأنه كان لا يعاظل فى القول ولا يتبع حوشى الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه .

والى جانب هذه الأغراض التى رفضها الاسلام والتى عدل فى مضمونها ، وافق الاسلام على بقية أغراض الجاهليين من الوصف والحكمة والرثاء وما الى ذلك من أغراضهم . وان كان مضمونها أصبح اسلاميا . وأضاف اليها أغراضا جديدة ، وجد الشعراء مادتها ومضمونها فى الاسلام . ومن ذلك مديحهم الذى تغنوا فيه بحب الاسلام ورسوله والثناء على مبادئه ونشر عقائده وحكمه ووصاياه .

ومن ذلك أيضا : التحريض على قتال غير المسلمين من المعتدين على حرماته والترغيب فى نيل الشهادة اعلاء لكلمة الله والذود عن حياضه وحماه ، ويصل بهم القول الى وصف المعارك وحصار المسلمين لمدن وحصون الأعداء وفتح بلادهم ... وما الى ذلك مما يتطرق اليه القول وما ينظمون فيه من أغراض جديدة جدت عليهم بمجيء الاسلام واعتناقهم اياه ولم تقتصر اضافات الاسلام لهم على الأغراض الشعرية الجديدة . وانما أضاف الاسلام اليهم كذلك معانى وأخيله جديدة أضيفت الى معانيهم وأخيلتهم . أما بالنسبة الى الألفاظ والأساليب التى نظموا بها شعرهم ، فلم يبقوا عليها جملة كما لم يتخلوا منها جملة ، وانما آثروا فى نظمهم جزالة اللفظ وفخامته وحسن جرسه ونغمته ومؤالفته لسابقه ولاحقه دون غرابته وحوشيته . كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته وروعة تأثيره فى النفوس . وأكثروا فى تعبيراتهم من الألفاظ الاسلامية والاقتباس من القرآن والسنة النبوية وتمثل القرآن والحديث فى نسج المعانى والصور الفنية والاستشهاد بها للتدليل على ما يقولون لأنهم يعرفون أن للمعانى القرآنية والنبوية أثرا محببا الى النفوس . والنظم فى هذه المعانى انما ينال شرفا وحبا ، فأكثروا منها وامتلأت دواوينهم بالنظم فيها . وأما من حيث الأوزان والقوافى . فلم يخرجوا فيها عما ألفته آذان الناس فى الجاهلية من موسيقى شعرية محددة الأنواع . وما خرج الخليل بن أحمد عن هذه الأنواع ولا ترك منها شيئا حين قنن هذه الأنواع الموسيقية وضبط قواعدها ووضع لها أسماءها الاصطلاحية .

هذا هو الشعر وتلك هى سماته فى عصر صدر الاسلام ، والتى يختلف بها عن الشعر فى العصر الجاهلى . ومن منطلق هذا الاختلاف قال النقاد الأوائل ان الشعر فى صدر الاسلام قد ضعف عنه فى الجاهلية ، ويرون أن سبب هذا الضعف انما هو فى القوة الخفية

التى تلهم الشاعر وتنطق بالشعر على لسانه • ويرون أن هذه القـوة كانت فى الجاهلية ماثلة فى شيطان الشـاعر ، وفى الاسـلام ماثلة فى الملك • وبنوا هذا الرأى على أساس أن الشيطان مناسب للجـاهلية وهو أقوى من الملك الذى يناسب رقة الاسلام وروحه والنور الـذى جاء به ، كما يرون أن الشعر يقوى فى الشر ويضعف فى الخـير • ومن ذلك ما نقله ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) عن الأصـمعى حين قال : « الشعر نكد بابه الشر ، فاذا دخل فى الخير ضـعف ، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجـاهلية ، فلما جاء الاسـلام سـقط شـعره » •

وفى رأيى أن الشعر لم يضـعف فى الاسلام عنه فى الجـاهلية وانما تغيرت مناهجه واتسعت أغراضه ومعانيه وأخيلته وصـوره ، وتهذبت ألفاظه ، وتشبعت عواطف الشعراء بروح القرآن وعوامـل الايمان وظهر ذلك كله فى شعرهم فتغيرت سماته وخصائصه الفنيـة عن سمات الشعر الجاهلى وخصائصه •

وأستطيع القول بأن عصبية علماء اللغة والرواة وراء تفضـيل الشعر الجاهلى على شعر سائر العصور التى جاءت بعده ومنها عصر صدر الاسلام • ولا يحق لهم العصبية ، لأن كل عصر له شعره وسماته الفنية وخصائصه الاسلوبية •

وبعـــد :

فهذه دراسة متواضعة عرضت فيها لقيمة الشعر ومكانته عنـد العرب ، ولآراء النقاد فى ضعف الشعر الاسلامى وقوته ، كما عرضت لموقفى القرآن والرسـول من الشعر ، وتنـاولت أغراض الشـعر وخصائصه الفنية بالبحث والدراسة • وأنهيت هذه الدراسة بخاتمـة تحدثت فيها عن بعض من الشعراء المخضرمين الذين أسلموا بعد يقين وروية ، وحكى كل منهم قصة اسلامه فى شعره ثم دافع عن الـدين

وجاهد فى سبيل الله بسيفه وشعره • واتخذ فنه وشاعريته وسيلة اعلام لنشر تعاليم الاسلام ومبادئه القويمة •

فان كنت قد وفقت فى عرضى لهذا البحث ومعالجتى للموضوعات المطروحة فى ثناياه فهذا ما أتمناه وأرجوه من الله تبارك وتعالى •

وان كانت الأخرى فحسبى أننى قد اجتهدت ولا يحرم المجتهد الأجر ، حتى وان ضل الطريق •

والله نسأل أن يوفقنا دائما الى الصواب ، والى سبيل الرشاد، انه سميع قريب مجيب الدعاء •

الزقـازيق — دكتور

فى ١٩٨٧/٨/١ — السيد عبد القادر عويضة

تمهـــيد

قيمـــة الشـــعر عند العرب

عاش العرب فى الجاهلية وفقا لنظام القبيلة ، التى كانت بمثـــابة دولة تسوس نفسها وتقود أبناءها ، ولها نظامها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، ولها شيخها صـــاحب الكلمة المسموعة والأمر النـــافذ فى قبيلتـــه .

وقد منح العرب من الله فى جاهليتهم الفصاحة والبلاغة والبيان، فكان الأدب سجل حياتهم ووعاء فكرهـــم ، تفيض قرائحهم بمكنـــون أفكارهم ، والرواة من خلفهم يحفظـــون ما يسمعون من الشـــعراء والخطباء ويروون ما يحفظون على غيرهم من الناس .

ولما كانت القبائل فى غارات مســـتمرة وفى حروب لا تنقطع من أجل الكلأ والماء ومتطلبات الحياة ، والعربى بطبعه يعشق الانتصـــار ويحب الفخار ، فكانوا فى حاجة الى من يســـجل مفاخرهم ويذيـــع مآثرهم ومحامدهم ويباهى العرب بانتصاراتهم .

من هنا كانت القبيلة تفاخر غيرها من القبائل اذا ظهر فيها شاعر ينطق باسمها ويعبر عن وجهة نظرها ويتحدث بلسانها ، ويرفع قومـــه على غيرهم من العرب ، ويقف فى الحلبة مفاخرا بمآثر قومه ومباهيا .

ولذلك كان العرب يهنئون بعضهم البعض بغلام يولد أو شـــاعر ينبغ أو فرس تنتج كما قال ابن رشيق : « كانت القبيلة من العـــرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الأعـــراس ويتباشر الرجـــال والولدان لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن أحســـابهم وتخليد لمآثرهم

واشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج »(١) ، ولا ريب فقد كان الشــعراء العرب ألسنــة قبـائلهم وذوى الرأى فيهم ، يتغنــون بمكارم رجال القبيلة وطيب أعراقــهم ويذكرون أيــامهم ويخلــدون مآثرهم ويطربون لكــرمهم وسماحتهم ، وقد عبر عن ذلك أبو تمام بقوله :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى   بغاة الندى من أين تؤتى المكارم(٢)

ولما كان الشعر ديوان العرب وسجل مفاخرهم ووعــاء مآثرهم قال الجــاحظ : « فكل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشــكل من الأشــكال • وكانت العــرب فى جاهليتها تحتــال فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشــعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها »(٣) ، ويقــول ابن ســلام : « وكان الشعر فى الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمــهم به يأخذون واليه يصيرون »(٤) •

ويقول ابن قتيبة : « وللعرب الشعر الذى أقامه الله مقام الكتاب لغيرها،وجعلهلعلومها مستودعا ولآدابها حافظاولأنسابها مقيدا ولأخبارها ديوانا لا يرث على الدهر ولا يبيد على مر الزمان ، وحرسه بالوزن والقوافى وحسن النظم وجودة التحبير من التدليس والتغيير »(٥) •

ويقول الدكتور / سامى المعانى : « وكان الشعراء فى الجاهلية

---

(١) العمدة : ٦٥/١ •
(٢) ديوان أبى تمام ٢٥٥ •
(٣) الحيوان ٧١/١ •
(٤) طبقات الشعراء ٢٤/١ •
(٥) تأويل مشكل القرآن ١٤ •

بمنزلة الحكام ، يقولون فيرضى قومهم ويحكمون فيمضى حكمهم ، وصار ذلك فيهم سنة يقتدى بها وأثارة يحتذى عليها » (١) .

ويقول أيضا : « وكان العرب اذا أحوجوا الى معرفة معنى حرف مستصعب ولفظ نادر التمسوه فى الشعر الذى هو ديوان لهم متفق عليه ، مرضى بحكمه مجتمع على صحة معانيه وأحكام أصوله ، محتج به على ما اختلف فيه من معانى الألفاظ وأصول اللغة »(٢) .

وفى العقد الفريد : أن النعمان بن المنذر قدم على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب،وفضلهم على جميع الأمم ولم يستثن فارس ولا غيرها، ومما قاله : « وأما حكمة ألسنتهم فان الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم الأشياء وضربهم للأمثال وابلاغهم فى الصفات،ما ليس لشىء من ألسنة الأجناس»(٣) .

ولما كانت بديهة العرب حاضرة وسليقتهم مواتية وشاعريتهم لا تنضب أبدا وكان الشعر من مفاخرهم ومآثرهم كانت كل دار من دور العرب فيها شاعر وربما أكثر . ولذلك يقول ابن سلام : «والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم فى الجاهلية والاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط ، ولو قصدنا لذكر من لم يقل من الشعر الا الشذ اليسير لذكرنا أكثر الناس »(٤) .

---

(١) الاسلام والشعر ٩٠
(٢) المرجع نفسه ، وانظر : كتاب الزينة ٨٣/١ ، ٩٢ .
(٣) العقد الفريد ١٠١/١ .
(٤) طبقات الشعراء ٣ .

ولما كان الشعر شريفا مقدسا عند العرب أكثر من غيره من الكلام قال عنه ابن خلدون : « أعلم أن فن الشعر بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم ، وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصلا يرجعون اليه فى الكثير من علومهم وحكمهم ، وكان رؤساء العرب منافسين فيه ، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده ، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر ، لتمييز حوله (مقدرته) حتى انتهوا الى المنازعة فى تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم »(١) .

وكان العرب يسمون الشاعر العالم والحكيم ، حتى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه سأل كعب الأحبار : « يا كعب هل تجد للشعراء ذكرا فى التوراة ؟ فقال كعب : أجد فى التوراة قوما من ولد اسماعيل أنا جيلهم فى صدورهم ، ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال لا نعلمهم الا العرب »(٢) .

وكعب بهذا القول قد جعل أشعار العرب فى منزلة أناجيل بنى اسرائيل لقدسيتها ، وكان من شدة اهتمام العرب بأشعار شعرائها أنهم كانوا — كبارا وصغارا — يحفظون هذه الأشعار ويروونها لن بعدهم حتى قيل : ان بنى تغلب كانوا يحفظون معلقة عمرو بن كلثوم

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبدا مذ كان أولهم
يا للرجال لشعر غير مسئوم(٣)

---

(١) المقدمة ٥٣٥ ، ٥٤٧ .
(٢) العمدة ٢٥/١ .
(٣) الأغانى ٣٦٨/٩ .

ويبدو أن العناية بشعر الشـاعر والاهتمام به لم يكن قـاصرا على أقارب الشاعر وأبناء قبيلته ، وانمـا عنى بذلك من كان الشـعر يسحره ببيانه وفصاحته وبلاغته ، فقد قيل : « ان شـعر العرب قد عنى به بعض الملوك ، وأنزلوه مكانة رفيعة فكان الملك اذا اسـتجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه ، لتكون فى خزائنه »(١) ٠

وهكذا كانت قيمة الشعر وكانت منزلة الشعراء عند العـرب فى الجاهلية ٠ وقد ظلت هذه القيمـة وتلك المكانة للشعر والشـعراء فى الاسلام ، لكن الاسلام قد هذب من طباع الشعراء وغير من مفاهيمهم الشعرية ، وألغى أغراضا شعرية كانت متعـارفة لدى الشـعراء فى الجاهلية واستحدث أغراضا أخـرى ، وظهرت بظهور الاسلام معان وأفكار وأساليب وأخيلة جديدة غـير التى ألفها الشـعرا فى العصر الجـاهلى ٠

★ ★ ★

---

(١) العمدة ٩٦/١ ٠

الفصل الأول

ضعف الشعر الاسلامى وقوته
وموقف القرآن والرسول منه

موقف النقاد من ضعف الشعر الاسلامى وقوته :

وردت مجموعة من النصوص والأقوال بالنسبة للشعر والشعراء الاسلاميين جعلت النقاد والباحثين ينقسمون على أنفسهم أمامها :

فريق يقول بضعف الشعر ولينه فى الاسلام عنه فى الجاهلية •

وفريق آخر : يقول بنهضة الشعر واحتفاظه بقيمته فى الاسلام كما كان فى الجاهلية وان تغيرت بعض مناهجه وصححت بعض مفاهيمه •

وفريق ثالث : وقف موقفا وسطا بين هؤلاء وهؤلاء •

ومن هذه النصوص والأقوال التى أثارت اهتمام النقاد والباحثين وجعلتهم يولونها اهتماما • قول الله تبارك وتعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »(١) •

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلىء شعرا »(٢) •

---

(١) الشعراء : الآيات من ٢٢٤ الى ٢٢٧ •
(٢) العمدة ١/١٢ •

وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « كان الشعر علم قــوم لم يكن لهم علم أعلم منه »(١) .

هذه الأقوال وغيرها جعلت فريقــا من النقاد يقولون بضــعف الشعر فى الاسلام عنه فى الجاهلية ، وعللوا لما يقولون : بأن الشعراء قد انبهروا بالقرآن ومعانى الاسلام فانشغلوا بها وبالجهاد فى سبيل الله عن الابداع الشعرى ، كما أن طريق الاسلام غير طريق الشــعر بدليل أن القرآن الكريم نفسه قد نعى على الشعراء غوايتهم واتبــاع الغــاوين لهم ، لدرجة أن رســول الله صــلى الله عليه وسلم لم يهىء للشعراء مكانا رحيبا فى كنفه .

وأوردوا القــول بضعف شعر حسان ولينه فى الاســلام ، وأن شيطانه فى الجاهلية كان أقوى من ملكه فى الاسلام ، واستشهدوا على أقوالهم بأن بعض الشعراء كلبيد بن ربيعة قد انصرف عن الشعر تماما وانشغل بالقرآن الكريم والحديث الشريف .

ومما استندوا عليه فى قولهم بضعف الشعر الاسلامى . قــول الأصمعى : « الشعر نكد بابه الشر ، فاذا دخــل فى الخير ضــعف ، هذا حسان بن ثابت فحل من فحــول الجاهلية ، فلما جاء الاســلام سقط شــعره »(٢) .

وقال مرة أخرى : « شعر حسان فى الجاهلية من أجود الشعر ، فقطع متنه فى الاسلام ، لحال النبى صلى الله عليه وسلم »(٣) .

---

(١) العمدة ١/٢٠ .

(٢) الشعر والشعراء ١/٣٠٥ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

ويقول ابن سلام : « وكان الشعر فى الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به ، يأخذون واليه يصيرون فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا — يلجأوا — الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب،فألفوا ذلك،وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره »(١) •

ويقول ابن خلدون : « انصرف العرب عن الشعر أول الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زمانا »(٢) •

ولكن فريقا آخر من النقاد عارضوا هذه الأقوال ورفضوا القول بضعف الشعر وانصراف الشعراء عنه ، مؤكدين نهضته واستمرار قوته بعد الاسلام بما هيأ الاسلام لهذه النهضة وتلك القوة من أسباب التقدم والنهوض •

ومن هؤلاء المعارضين لآراء الفريق الأول ، الدكتور شوقى ضيف • فانه يرد على ابن خلدون رأيه بضعف الشعر فى الاسلام بقوله : « وليس بصحيح أنه — أى الشعر — توقف أو ضعف كما

---

(١) طبقات الشعراء ٣٤ •
(٢) المقدمة ٥٤٧ •

ظن ذلك ابن خلدون وتابعه فيه بعض المعاصرين اذ يقول فى مقدمته : « انصرف العرب عن الشعر أول الاسلام بما شغلهم من أمـر الدين والنبوة والوحى ... » ويقول الدكتور شوقى ضيف كذلك فى رده : « ومضى كثيرون ينظمون فى هذا العصر لا مع الأحداث بل مع أنفسهم وقبائلهم مستضيئين الى حد كبير بالاسلام وهديه الكريم ، فالشعر لم يتوقف ولم يتخلف فى هذا العصر ، وهذا طبيعى لأن من عاشوا فيه كانوا يعيشون من قبله فى الجاهلية ، وكانوا قد انحلت عقـدة لسانهم وعبروا بالشعر عن عواطفهم ومشاعرهم ، فلما أتم الله عليهم نعمـة الاسلام ظلوا يصطنعونه وينظمونه »(١) .

ويقول الدكتور شوقى ضيف كذلك فى رده على القائلين بضعف الشعر . بأن الاسلام لم يضعف من شاعرية الشعراء ولم يكف العرب عن نشاطهم ولم يساعد على خمول الشعر بل على ازدهاره بفتوحـه ومعاركه وانتصاراته التى أذكت جذوة الشعر وفتقت السنة الشـعراء من المسلمين والمشركين على السواء . فيقول : « ومن الظلم للاسلام أن يقال : انه ــ أى الاسلام ــ كف العرب عن الشعر ووقف نشاطه، فقد كان ينشد على كل لسان ، وساعدت الأحداث على ازدهاره لا على خموله سواء فى معركة الاسلام مع الوثنيين والمرتدين أو فى الفتوح، أو فى معركة على مع خصومه فى العراق ، ولعلنا لا نبالغ اذا قلنـا ان الاسلام أذكى جذوته واشعلها اشعالا ، فان أحداثه حلت من عقد الألسنة وأنطقت بالشعر كثيرين لم يكونوا ينطقونه ، فاذا بنا نجد مكة

---

(١) العصر الاسلامى ٤٢ ، ٤٣ .

التى لم تعرف فى الجاهلية بشعر كثير يكثر شعراؤها ، واذا بناء ازاء عشرات من الشعراء فى الفتوح لم يشتهروا بالشعر ونظمه قبلها »(١) ٠

واذا كان ابن خلدون فى قوله السابق يرى انصراف الشعراء عن الشعر فى فترة وجيزة من حياة الاسلام الأولى انبهارا بأسلوب القرآن الكريم ودهشة من نظمه ، فانه فى مكان آخر من مقدمته يتحدث عن شعر الاسلاميين ويرى أن شعرهم أعلى طبقة وأفصح كلمة وأروع بلاغة من كلا الجاهليين وشعرهم ، ويعقد موازنة بين جماعة من الشعراء فى صدر الاسلام وجماعة من شعراء الجاهلية فيقول : « ان كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة فى البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين فى منثورهم ومنظومهم ، فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبى ربيعة والحطيئة ٠٠ أرفع طبقة فى البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير ٠٠ والسبب فى ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام من القرآن والحديث ، اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما ، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم فى البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ، ممن لم يسمع هذه الطبقة ولم ينشأ عليها ، فكان كلامهم فى نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة،وأصفى رونقا من أولئك ، وأرصف مبنى وأعدل تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالى الطبقة »(٢) ٠

---

(١) العصر الاسلامى : ٤٦ ٠

(٢) المقدمة : ٥٤٤ ٠

وهذا الدكتور سامى العانى : لم يكتف باصدار رأى يوضح فيه قوة الشعر الاسلامى وازدهاره وانما تكفل بالرد على القائلين بضعف الشعر الاسلامى ردا مقنعا • فقد رد عليهم : بأن الاسلام لم يكن قد أتى مفاجأة بل سبقته ارهاصات ومقدمات دينية كثيرة • وكان من الارهاصات الشعرية فى أواخر العصر الجاهلى التى تنبىء بمقدم دين جديد ، شعر أمية بن أبى الصلت ولبيد وزهير وغيرهم من المتحنفين •

ورد على القائلين بأن طريق الاسلام غير طريق الشعر بقوله :

« ان الاسلام قد نهى عن بعض ألوان الشعر وهى مع قلتها ، فانه قد أوجد بديلا عنها ، وشجع كثيرا من الألوان الأخرى » •

ورد على القول بأن : « الشعر نكد لا يقوى الا فى الشر » بأن هذا القول يختلف مع رأى النقاد الذين يجمعون على أن القوة والضعف مردهما الى طبيعة الشاعر وموهبته وصدق عاطفته ، وكما تنفعل النفوس بعوامل الشر تنفعل بعوامل الخير ، وقد يصل انفعالها بأسباب الخير أقصى درجاته ، فيرتفع شعرها فيه الى أسمى ذرواته ، وقد يكون انفعال الشاعر بحب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا أشد وأقوى من انفعال شاعر بحب غادته اللعوب •

وفند حجة القائلين بأن المسلمين قد انشغلوا بالجهاد عن الشعر : بأن الجهاد فى سبيل الله والفتوحات الاسلامية أكثر الروافد التى أمدت الشعر الاسلامى بالمعانى الجديدة والأفكار البديعة والأغراض الطريفة •

ورد على القـــائلين بأن النبى صـــلى الله عليه وســـلم لم يهيىء للشعراء مكانا رحيبا فى كنفه ، بأن هذا القول غير مقبول ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أيد الشعراء فى دفاعهم بشعرهم عن الاسلام وفى شعرهم الذى خدموا به أغراض الدين الحنيف • ويكفى أنه نصب لحسان منبرا ينشد من فوقه الشـــعر فى مسجده وفى حيـــاته ، وأنه زوجه من أخت زوجته مارية القبطية لا لشىء الا لمواقفه الشـــعرية ، وأنه ألقى بردته عـــلى كعب بن زهير حين أنشـــده لاميته المشـــهورة (بانت ســـعاد) •

ورد على القائلين : بأن شعر حسان قد ضعف وتراجـــع بعـــد الاسلام لأن شيطانه قد تبدل ملكا • ويقول : هذا غير صـــحيح لأن معظم النقـــاد يرون أن ما وجد فى شعره من لين وضعف لم يكن فى شعره الصحيح بل هو فيما وضع عليه من أشعار ••• ومن يتعمق فى ديوان حسان يجد أن فحولة شعره لم تفارقه فى جاهليته واسلامه ، وفى فخامته وعذوبته ، ولا شك فى أن ما يظهـــر من لين وضـــعف فى بعض اسلامياته ليس أصيلا فى فنه وانما هو عارض ساقته ظـــروف طارئة • أو منحول دس عليه لغرض دينى أو فكاهى » •

ثم ينهى الدكتور سامى العـــانى ردوده بقوله : « ومما ســـبق نخلص الى بطلان دعوى ضعف الشعر الاسلامى ونؤكد أن ما استند اليه القائلون بهذه الدعوى يرجع الى قلة اطلاعهم على النصـــوص

الشعرية أو الى تقليد مقولة الأقدمين ، أو تحميل بعض نصـوص القرآن أو الحديث أو النقاد القدامى أكثر مما تتحمل ، وتوجيهها الى غير ما أريد منها »(١) •

وهناك فريق ثالث من الباحثين وقف موقفا وسطا فى هذه القضية بين من فضلوا الشعر الجاهلى ومن فضلوا الشعر الاسلامى •

ومن هؤلاء الدكتور / يوسف خليف الذى يقول : « ولسنا ندعى أن القرآن صرف العرب جميعا عن قول الشعر ، أو أخرس ألسـنتهم حتى لم تعد تنطق به ، وانما الذى نقرره هو أنه أضعف من سيطرته على المجتمع الأدبى الاسلامى ، بعد أن كان هو اللون الأسـاسى فى الحياة الأدبية الجاهلية ، واذا كان لبيـد قد فكر فى أن يحطم قيثارته فقد كان هناك غيره •• احتفظوا بقيثاراتهم دون أن يحطموها •

ان الرجة الدينية والأدبية التى أثارها القرآن فى نفوسهم وفى المجتمع الاسلامى من حولهم كادت تزلزل الأوتار فى أيديهم ، وتجعل الناس لا يجدون فى فنهم تلك المتعة الآسرة التى كان القدماء يجدونها فى الشعر القديم ، أو على أقل تقدير لا يجدون فى وقتهم ما يجعلهم يلتفون حولهم ليستمعوا لهم كما كان أسلافهم يفعلون »(٢) •

---

(١) الاسلام والشعر ٢٣ وما بعدها •
(٢) حياة الشعر فى الكوفة ٦٥٦ •

وعلى هذا فرأى الدكتور / يوسف خليف أقرب الى الصواب من غيره ممن اشتطوا فى آرائهم حول الشعر الاسلامى والجاهلى • فهو يرى أن القرآن قد أضعف من سيطرة الأدب بشعره ونثره على المجتمع العربى آنذاك ، اذ أن الناحية الأدبية كانت أبرز ما فى حياتهم من نواح عديدة • فلما جاء الاسلام كانت سيطرته على المسلمين منهم أقوى من سيطرة الأدب عليهم ، وليس معنى ذلك أن الأدب قد ضعف فى نفوسهم ولان ، كما يقول بعض النقاد وليس الشعر مذموما كله كما تبادر لبعض منهم ، وانما المذموم منه ما كان فى الشر ، وما يقوله الشاعر مخالفا لتعاليم الدين الحنيف ، وما كان منه هجاء للرسول صلى الله عليه وسلم كما ورد فى رواية السيدة عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلىء شعرا هجيت به » •

★ ★ ★

موقف القرآن الكريم من الشعر :

يقول الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون • ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون • وأنهم يقولون ما لا يفعلون• الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »(١) •

قسم الله الشعراء فى هذه الآيات الكريمة الى فريقين : فـريق الضالين المضلين الذين هم فى كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون ويتبعهم الغاوون • وهؤلاء هم الشـعراء المشركون الذين يصدون عن سبيل الله ويهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم •

وفريق المؤمنين الذين يجندون شـعرهم وأدبهم خدمة للدعـوة الاسلامية ونشرا لقيم الدين الحنيف وتعاليمه • وهؤلاء هم الـذين اسـتثناهم الله تبـارك وتعالى بقـوله : « الا الذين آمنـوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظلموا ••• » •

ويعلق ابن رشيق فى كتابه (العمدة) على هذه الآيات الكريمات تحت قوله : «باب فى الرد على من يكره الشعر» فيقول « فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغـاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » فهو غلط

---

(١) الشعراء : لآيات من ٢٤ : ٢٧ •

وسؤ تأول لأن المقصودين بهذا النص شـعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسـلم بالهجاء ومسـوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخـل فى شىء من ذلك . ألا تسـمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا » .

يريد شـعراء النبى صـلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، وقد قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء النفـر أشد على قريش من نضح النبل »(١) .

وورد فى تفسير الكشاف : « أن هذه الآية ــ والشـعراء يتبعهم الغاوون ... ــ نزلت فى شـعراء المشركين : عبد الله ابن الزبعرى ، وهبيرة بن أبى وهب ، ومسافع بن عـبد مناف وأبى عزة الجمحى ، وأمية بن أبى الصلت ، قالوا : نحن نقول مثل قول محمـد ، وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب ، ويستمعون الى أشعارهم وأهاجيهم، ولذلك فهم الغاوون الذين يتبعونهم » (٢) .

وقيل : « بعد أن نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) توجه حسان ابن ثابت وعبـد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهم يبكون ، قالوا : قد علم الله حـين أنزل هذه

---

(١) العمدة ١/٢٣ .
(٢) الكشاف ٢/٤٤٠ .

الآية أنا شعراء ، فتلا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال : أنتم ، (وذكروا الله كثيرا) قال : أنتم (وانتصروا من بعد ما ظلموا) قال : أنتم »(١) .

وعلى هذا فالمعيب فى الآية (والشعراء يتبعهم الغاوون ...) ليس الشعر لذاته ، وانما الشعراء الذين يطرقون المعانى والأغـراض المنافية للدين والدعوة .

كما أن الشعراء فى الآية فريقان : فريق المؤمنين الذين انتصروا للحق واتجهوا بفنهم لخدمة الدعوة .

وفريق المشركين الذين استهوتهم الضلالة واستغلوا فنهم فيما ينافى الدين والدعــوة .

يقول الدكتور / ســامى العانى فى تعليقــه على هذه الآيــات « ان القرآن لم يحــارب الشعر لذاته فى هذه الأحكام ، وانما حــارب المنهج الذى سار عليه الشعر والشعراء ، منهج الأهواء والانفعــالات التى لا ضــابط لها ، ومنهج الأحلام المهومة التى تشــغل أصــحابها عن تحقيقها »(٢) .

ويوضح القضــية أكثر بأن الشعر ليس معيبــا فى ذاته . قــول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الشــعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه »(٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « انما الشعر كلام : فمن الكــلام خبيث وطيب »(٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٨٦/٦ .

(٢) الاسلام والشعر ٤٢ . وانظر : (فى ظلال القرآن) للشيخ سيد قطب ١٢٠/١٩ .

(٣ ، ٤) العمدة ٢٧/١ .

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة العربية عام الفيل بين قوم أبرز ما فى حياتهم الشعر والكلمة الآثرة ، قوم يسحرهم البيان وتطربهم البلاغة والفصاحة ، كان الشعر عندهم ديوان فضائلهم وسجل مفاخرهم ، ووسيلة لتخليد ذكراهم . كان طبيعة فيهم وفطرة فطروا عليها ، وسجية تأصلت فى نفوسهم ، يجرى على ألسنتهم مثلما يجرى الدم فى عروقهم ، وقد عبر عن ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بقوله : « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين »(١) وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم عربى ولد فى هذه البيئة الشاعرة ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يطرب للكلمة العذبة والبيان الجميل . ومن ذلك ما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر مع لداته سوق عكاظ ليسمع الشعر » (٢) .

وورد أيضا : أنه صلى الله عليه وسلم استمع الى أبيات العلاء ابن الحضرمى التى يقول فيها :

وحى ذوى الأضغان تسب قلوبهم
تحيتك الحسنى فقد يرقع النعل
فان دحسوا بالكره فاعف تكرماً
وان أخنسوا عنك الحديثفلا تسل
فان الذى يؤذيك منه استماعه
وان الذى قالوا وراءك لم يقل(٣)

(١) العمدة ٣٠/١ .
(٢) انظر الأغانى ١٧/٩ (طبعة ساسى) .
(٣) كنز العمال ١٧٨/٢ ، وعيون الاخبار ١٨/٢ .

فعلق عليها صلى الله عليه وسلم بقوله : « ان من البيان لسحرا، وان من الشعر لحكما أو لحكمة » •

وورد كذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوق الى معرفة كيفية جريان الشعر على لسان الشاعر ، ومن ذلك أنه سأل ابن رواحة قائلا له : ما الشـــعر ؟

فأجابه ابن رواحة بقوله : « شىء يختلج فى صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعرا »(١) •

ومن تأثره صلى الله عليه وسلم بالشـــعر وتقديره له ، ما روى من أن ليلى بنت النضر بن الحـــارث بن كلدة • وقيـــل : قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث ، لمـــا عرضـــت للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل النضر بن الحارث ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت ســمعت شـــعرها هذا ما قتلته » وقيل : « لمننت عليه »(٢) •

والشـــعر هو :

يا راكبا ان الأثيل مظنة
من صبح خامســـة وأنت موفق

أبلغ بهـــا ميتا بأن قصـــيدة
ما ان تزال بهـــا الركائب تخفق

منى اليك وعبـــرة مســـفوحة
جـــاءت بواكفها وأخرى تخنق

---

(١) شرح شواهد المغنى ٢٩٣/١ •

(٢) البيان والتبيين ٤٤/٤ طبعة بيروت ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢٩/٣ •

هل يسمعنى النضر ان ناديتــه
أم كيف يســمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشــه
لله أرحـــام هناك تشـــقق
قسرا يقـاد الى المنيــة متعبا
فى قومهــا والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربمــا
من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فـدية فلينفقن
بأعــز ما يغـلو به ما ينفــق
فالنضر أقــرب من تركت قرابة
وأحقهم ان كان عتق يعتــق

وروى عن هشــام بن عــروة عن أبيــه عن عــائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وســلم بنى لحسان بن ثابت فى المسجد منبرا ينشد عليه الشعر(١) •

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « ان هذا الشعر سجع من كـلام العرب به يعطى السائل وبه يكظم الغيظ ، وبه يؤتى القــوم فى ناديهم »(٢) •

وعلى الرغم من أنه صــلى الله عليه وسلم كان يطرب للشــعر ويتأثر به ويثنى على الخير منه ، الا انه صلى الله عليه وسلم لم يؤثر عنه أنه قال شعرا قط ولا رواه لأحد الشعراء • لا قبل البعثة النبوية ولا بعدها أبدا • وذلك لأن الشعر يقود الشاعر الى كل واد وكل صوب

---

(١) العمدة ٢٠/١ •
(٢) طبقات الشافعية ١٣٤/١ •

يهيم فيه ويتخبط ، كما أنه لو كان شاعرا راوية للشعر لما كذب القرآن المشركين فى وصفهم لمحمد ﷺ بأنه شاعر وأن ما جاء به من عند ربه من آى التنزيل (ان هى الا أساطير الأولين) •

ولكن الله تبارك وتعالى أقسم على أنه ﷺ ليس بشاعر فقال سبحانه : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون » (١) •

وبقوله سبحانه : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » (٢) ويقول: « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » (٣) •

فمحمد ﷺ لم يكن معدا لأن يكون شاعرا ، وانما كان معدا لأن يحمل رسالة سماوية سمحة من الأدب العالى الرفيع وكانت أقواله وأفعاله وتقاريره واجتهاداته تشريعا يضاف الى التشريع السماوى المنزل وهو القرآن الكريم • يفصل مجمله ويوضح غامضه ويفسر ما يحتاج منه الى تفسير • وهو فى كل ذلك ، قد أوتى الحكمة وفصل الخطاب ، ولا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى •

واذا كانت هذه سبيله فكيف يكون شاعرا ؟

بالطبع فانه ليس بشاعر ولا ينبغى له أن يكون شاعرا •

واذا كانت هناك روايات تفيد بأنه ﷺ كان يبغض الشعر من مثل رواية مالك بن عمير السلمى الذى جاء الى رسول الله ﷺ فقال :

---

(١) الحاقة • الآيات : من ٣٨ الى ٤١ •
(٢) يس : الآية : ٦٩ •
(٣) العنكبوت : الآية : ٤٨ •

« انى امرؤ شاعر ، فهل على شيء فى الشعر ؟ فقال له : لأن يمتلىء ما بين لبتك الى عاتقك قيحا ودما خير من أن يمتلىء شعرا » (١) .

وروى الامام مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج اذ عرض شاعر ينشد ، فقال الرسول ﷺ « خذوا هذا الشيطان ، أو امسكوا الشيطان لأن يمتلىء جوف الرجل منكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا » »(٢).

وفسر أبو داود هذا الحديث فى سننه بأن المقصود : « أن يمتلىء قلبه حتى يشغله عن القرآن وذكر الله » (٣) .

اذا كانت هذه الروايات تفيد بأنه ﷺ كان يبغض الشعر ، فهناك روايات كثيرة — قد ذكرنا بعضا منها من قبل — تفيد بأنه ﷺ لم يكن يبغض الشعر كله . بل كان يتأثر بالشعر الذى يحمل فى طيه حضا على فضيلة وحثا على مكرمة وتحريضا على شجاعة فى سبيل الحق وتقديم المروءة ، كما أنه ﷺ قرب بعض الشعراء من الذين آمنوا ودافعوا عن الاسلام وذادوا عن حياضه وتصدوا للمشركين ، وكان شعرهم على المشركين أقوى من ضربات الحراب .

كما أن القرآن الكريم قد قسم الشعراء الى فريقين : فريق

---

(١) الاستيعاب ٢٤٧/١ .
(٢) صحيح مسلم ٤٦/٤ .
(٣) السنن ٤١٤/٤ .

المشركين ، الضالين المضللين ، وفريق المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله المدافعين عن الحق والعدل والكرامة .

اذا وضح لنا ذلك كله — وهو واضح لا محالة — علمنا بأن تفسير أبى داود انما هو الصواب وأن رسول الله ﷺ ينهى عن انشغال المؤمن بالشعر لدرجة تشغله عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وربما يقصد المشركين بحديثه .

وقد عنون البخارى فى صحيحه : « باب ما يكره أن يكون الغالب على الانسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن » (١) .

هل كان رسول الله يتمثل بشىء من الشعر ؟

هذا السؤال وجه للسيدة عائشة رضوان الله عليها فقالت : كان يتمثل ببيت أخى بنى قيس (طرفة بن العبد) :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار ما لم تزود

فيجعل آخره أوله ، أى يجعل البيت هكذا :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك ما لم تزود بالأخبار

فقال له أبو بكر : ليس هكذا . فقال النبى ﷺ : « انى والله ما أنا بشاعر ولا ينبغى لى » (٢) .

وقال الحسن البصرى : ان النبى ﷺ كان يتمثل بصدر هذا البيت على هذه الصورة :

---

(١) العمدة ١/٤٣ .
(٢) كتاب الزينة ٩٨ .

كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال أبو بكر : انما قال الشاعر :

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال عمر : أشهد أنك رسول الله ، يقول الله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » (١) .

وحين فضل رسول الله ﷺ الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فى العطاء على العباس بن مرداس قال العباس أبياتا منها :

أصبح نهبى ونهب العبيد بين عيينة والأقرع

فبلغ الرسول ﷺ ذلك فقال له : أنت القائل :

أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

فقال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله لم يقل ذلك ولا والله ما أنت بشاعر ولا ينبغى لك الشعر وما أنت براوية . قال : فكيف ؟ قال : فأنشده أبو بكر البيت . فقال الرسول ﷺ : « هما سواء لا يضرك بأيهما بدأت بالأقرع أو بعيينة » (٢) .

وهذه كلها أدلة على أن رسول الله ﷺ لم يكن شاعرا . ولم يجر على لسانه مما صح وزنه الا هذا البيت من الرجز المنهوك وهو قوله :

---

(١) السراج المنير ٣/٢٩٤ .
(٢) الأغانى ٣/٦٥ .

أنـــا النبى لا كــذب   أنـــا ابن عبد المطلب

وذلك فى يوم حنين يوم أن تفرق جمع المسلمين على أثر ضربة من المشركين أعدوها للمسلمين من داخل كمين لهم ، وأخذوا المسلمين على غرة ، فوقف النبى ﷺ ثابتا فى مكانه وقال هذا الكلام الذى لم يقصد منه أن يكون شعرا • ونادى فى الناس حتى اجتمع المســلمون والتقى الجمعان وانتصر المسلمون بأمر الله واذنه وارادته •

وبهذا نصل الى أنه ﷺ لم يكن شاعرا • ولكنه كان يتأثر من الشعر الذى كان حثا على فضائل الأخلاق وكريم الصفات والتحلى بقيم الاسلام ومبادئه حتى ولو كان هذا الشعر من شاعر لم يدرك الاسلام أو غير مسلم • فالنبى ﷺ ، يطرب للحكم التى لا تتعارض مع قيم الله وتشريعه ، بل تتفق فى المعنى مع ما جاء به الاسلام وحض عليه • ومن ذلك أنه ﷺ حين سمع بيت عنترة العبسى :

ولقد أبيت على الطوى وأظله   حتى أنال به كريم المأكل

فقال ﷺ : « مــا وصــف لى أعرابى قط فأحببت أن أراه الا عنترة » (١) •

---

(١) الأغانى ٢٤٣/٨ •

من توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم للشعراء :

حينما كان النبى ﷺ يستمع الى انشاد الشعراء كان يستمع بعقل الناقد البصير وكان كثيرا ما يوجههم نحو الصحيح من القول والحسن من الكلام وأكثر ما كان ذلك حينما يشتم رائحة الجاهلية فى كلام الشعراء المسلمين • فقد روى أنه ﷺ عندما سمع كعب بن مالك يقول :

مدافعنا عن جذمنا كل فخمة   مدربة فيها القوانس تلمع

طلب من كعب أن يبدل كلمة (جذمنا) بكلمة (ديننا) وانشرح صدر كعب لذلك وبدل الكلمة •وذلك لأن النبى ﷺ لمح فى كلمة (جذمنا) العصبية القبلية (١) •

ويشتم النبى ﷺ أيضا رائحة الجاهلية فى قول النابغة الجعدى وهو ينشده قوله :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فيقول له : « الى أين يا أبا يعلى ؟ فيقول النابغة : الى الجنة فيقول له النبى ﷺ وقد سر بكلامه هذا : ان شاء الله (٢) •

وروى أن ابن رواحة حين أنشده ﷺ قوله :

---

(١) ديوان كعب ٢٢٣ •

(٢) العقد الفريد ٢٥٦/١ وشعر النابغة ٥١ •

فخبرونى اثمان العباء متى   كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

فتغير وجه النبى ﷺ . يقول ابن رواحة : فكأنى عرفت فى وجه رسول الله — ﷺ — الكراهية ، أن جعلت قومه اثمان العباء ، فقلت على الفور :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم   فينا النبى وفينا تنزل السور

فعاد رسول الله — ﷺ — الى طبيعته ورضاه (١) .

وحينما أنشد كعب بن زهير رسول الله ﷺ لاميته المشهورة ووصل الى قوله :

ان الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الهند مسلول

قال له : من سيوف الله . فأصلحها كعب (٢) .

وكثيرا ما كان ﷺ يستحسن شعر الشاعر ويثنى عليه خيرا . ومن ذلك أن النابغة الجعدى حين أنشده قوله :

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له
بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له النبى ﷺ : « لا يفضض الله فاك » . ويقال : انه عاش مائة وثلاثين سنة لم تفضض له سن (٣) .

---

(١) طبقات الشعراء ١٨٧ .
(٢) شرح بانت سعاد ١٦٦ .
(٣) معجم الشعراء ١٩٥ والعقد الفريد ٢٥٦/١ .

وحين ينشد كعب بن مالك قوله :

جاءت سخينة كى تغالب ربها فليغبن مغـــالب الغـــلاب

فيقول له : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا (١) .
ويقول الشاعر ضرار بن الأزور : أتيت النبى ﷺ فأنشدته :

خلعت القـــداح وعـــزف القيا
ن والخمــر أشربهـــا والثمالا
وكـــرى المجبـــر فى غمـــرة
وجهدى على المشركين القتالا
وقـــالت جميلـــة بددتنـــا
وطرحت أهلك شـــتى شمـــالا
فيـــا رب لا أغبنن صـــفقة
فقد بعت أهلى ومـــالى بدالا

فقال النبى ﷺ : ربح البيع . وقيل : ما غبنت صـــفقتك يـــا ضرار (٢) .

وقال ابن حبيب : أنشدت رسول الله — ﷺ — قول سحيم عبد بنى الحسحاس :

الحمد الله حمدا لا انقطاع له فليس احسانه عنا بمقطوع

فقال : أحسن وصدق . وان الله ليشكر مثل هذا ، وان ســددا وقارب انه لمن أهل الجنة (٣) .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢١٦/٢ .
(٢) أسد الغابة ٥٢/٣ .
(٣) الاصابة ١٠٩/٢ .

ولم يقتصر استحسان الرسول ﷺ على أشعار المسلمين بل تجاوز استحسانه لها الى ما استمع اليه من شعر الجاهليين الذى يتفق ومبادىء الاسلام وأخلاقه • فحين أنشده منشد قول سويد ابن عامر المصطلقى :

لا تأمنن وان أمسيت فى حرم
ان المنايا بجنبى كل انسان
فكل ذى صاحب يوما يفارقه
وكل زاد وان أبقيته فان

فقال الرسول — ﷺ : لو أدرك هذا الاسلام لأسلم (١) •

وروى عنه ﷺ أنه قال : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شىء ما خلا الله باطل » (٢) •

وبلغ من اعجابه ﷺ بقول عنترة :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

أنه قال : « ما وصف لى أعرابى قط فأحببت أن أراه الا عنترة » (٣) •

وعندما أنشد لديه قول أمية بن أبى الصلت :
زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث يرصد

قال : صدق ، وهكذا صفة حملة العرش (٤) •

---

(١) الاستيعاب ٣/٤٠٠ •
(٢) صحيح الجامع الصغير ١/٣٣٦ ، ٣٣٨ •
(٣) الأغانى ٨/٢٤٣ طبعة دار الكتب •
(٤) الاصابة ١/١٣٤ •

وروى أنه ﷺ كان يقول للسيدة عائشة رضى الله عنها : ما فعل بيتك ؟ أو بيت اليهودى فتقول :

يجزيك أو يثنى عليك وان من أثنى عليك بما فعلت كمن فعل

فيقول الرسول ﷺ : « صدق يا عـــائشة : ان الله عز وجل اذا أجرى لرجل على يدى رجل خيرا فلم يشكره ، فليس لله بشاكر » (١) •

وأحيانا كان النبى ﷺ يطلب ممن يحضره من الشعراء الانشاد • فحينما بلغه ﷺ أن قوما نالوا أبا بكر بألسنتهم ، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ليس أحد منكم أمن على فى ذات يده ونفسه من أبى بكر كلكم قال لى كذبت • وقال لى أبو بكر صدقت فلو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا • ثم التفت الى حســـان فقال : هات ما قلت فى وفى أبى بكر فقال حسان : قلت يا رسول الله :

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

الى آخر الأبيات(١) •

فقال رسول الله ﷺ : صدقت يا حسان ، دعوا لى صاحبى قالها ثلاثا (٢) •

وتقول السيدة عائشة : كان رسول الله كثيرا ما يقول :

« ما فعلت أبياتك ؟ فأقول : أى أبياتى تريد ، فانها كثيرة ؟ تقصد ما تحفظه هى من الشعر فانه كثير — فيقول : فى الشكر فأقول : نعم بأبى وأمى • قال الشاعر :

---

(١) المحاسن والمساوىء ١٢٤ •
(٢) ديوان حسان ص ٢١١ •

ارفع ضعيفك لا يحريك ضعفه   يوما فتدركه عواقب ما جنى

الى آخر الأبيات (١) .

وكان النبى ﷺ يجالس الشعراء ويستنشدهم ويصغى اليهم . فقد روى أنه ﷺ جلس فى مجلس من الخزرج ، فاستنشدهم شعر قيس بن الخطيم ، فأنشدوه بعض شعره (٢) .

ويقول حريم بن أوس الطائى : قدمت على رسول الله ﷺ منصرفا من تبوك فسمعت العبـــاس عمه يقــول : يا رسول الله انى أريد أن أمتدحك . فقال النبى ﷺ : قل لا يغضض الله فاك ، فأنشأ يقول :

من قبلها طبت فى الظلال وفى   مستودع حيث يخصف الورق

فى أبيات طويلة (٣) .

وأحيانا كان أصــحاب النبى ﷺ من الشعراء يستأذنون النبى ﷺ فى نظم مواعظه وأحاديثه شعرا تسهيلا لحفظها فيأذن لهم ﷺ .

فقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها قائلة : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : **انمـــا مثل أحدكم ومثل مـــا له** ومثل عمله ومثل أهله

---

(١) تاريخ دمشق ٥٩/٦ والعقد الفريد ٢٧٥/٥ .
(٢) الأغانى ٧/٣ .
(٣) الاستيعاب ٣٥٤/٢ .

كمثل رجل له ثلاثة اخوة ، فقال لأخيه الذى هو ماله حين حضره الموت : قد نزل بى ما ترى فما عندك ؟ قال : ما لك عندى غنى ، ولا نفع الا ما دمت حيا ، فان فارقتنى ذهب بى الى غيرك .

فالتفت النبى ﷺ فقال : أى أخ ترونه ؟

قالوا : ما نرى طائلا . قال : ثم التفت لأخيه الذى هو أهله . فذكر نحوه فقال : أقوم عليك فأمرضك ، فاذا مت غسلتك ، وكفنتك وحملتك ودفنتك ، ثم أرجع فأخبر عنك من سأل.قال فأى أخ هذا ؟ قالوا : ما نرى طائلا . ثم قال لأخيه الذى هو عمله نحوه فقال : أتبعك الى قبرك وأقيم معك وأونس وحشتك ، وأقعد فى كفنك فلا أفارقك . قال : فأى أخ هذا ؟ قالوا : خير أخ .

قال فقام عبد الله بن كرز الليثى ، فقال يا رسول الله أتأذن لى أن أقول على هذا شعرا ؟ فقال : نعم . قال فبات ليلته وغدا فقام على رأس رسول الله ﷺ فقال :

انى وما لى والذى قدمت يدى
كراع اليه صحبة ثم قائل
لأصحابه اذ هم ثلاثة اخوة
أعينوا على أمرى الذى بى نازل

الى باقى الأبيات .

قال : فما بقى عند النبى ﷺ ذو عين تطرف الا دمعت عيناه(١) .

---

(١) الاصابة ٣٥٤/٢ .

وعرف أصحاب النبى ﷺ ما للشعر من تأثير فى نفسه فكانوا يتخذون من الشعر وسيلة يستشفعون بها عنده ﷺ • ومن ذلك أنه ﷺ كان قد أهدر دم كعب بن زهير قبل أن يسلم • فجاءه كعب معتذرا مؤملا فى عفو الرسول ﷺ وأنشد أمامه ﷺ فى المسجد قصيدته (بانت سعاد) • فقبل النبى اعتذاره وطرب لمدحته وعفا عنه بل وألقى عليه بردته (١) •

ومن ذلك أيضا أن قبيلتى بنى بكر وقريش قد تحالفتا وتظاهرتا على قبيلة خزاعة التى كانت فى حلف مع الرسول ﷺ وقد نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ بما استحلته مع بنى بكر من قبيلة خزاعة • فخرج عمرو بن سالم الخزاعى ، حتى قدم على رسول الله ﷺ ووقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس فقال عمرو :

يا رب انى نـاشد محمدا
حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا
ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددا

فاستجاب له رسول الله ﷺ وقال : نصرت يا عمرو بن سالم ،

---

(١) انظر : العمدة ١/١٨ •

ثم عرض لرسول الله ﷺ سحاب من السماء،فقال : ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب (١) .

ولكن هل معنى أن النبى ﷺ يتأثر بالشعر ويطرب الى سماعه وينقده ويقبل الاعتذار به . هل معنى ذلك أنه ﷺ يقره كله ؟

كلا . .

انه صلى الله عليه وسلم لا يقبل منه الا ما كان حثا على فضيلة ونهيا عن رزيلة والا ما كان منه فى خدمة الدعوة الاسلامية . أما ما كان غير ذلك من الشعر الذى يكون ضد الاسلام وضد الدعوة فان رسول الله ﷺ لا يقره بل نهى عنه ، أى نهى عن كل شعر يتحدث فيه الشاعر عن الجاهلية والعصبية ومفاخر القبيلة وما الى ذلك . وان كان المؤرخون لا يذكرون شعرا نهى رسول الله ﷺ عن روايته سوى نصين فقط . هما قصيد أمية بن أبى الصلت التى يرثى فيها من أصيب من قريش يوم بدر . ومطلعها :

ألا بكيت على الكرام ... بنى الكرام أولى المادح (٢)

وهى فى واحد وثلاثين بيتا نقلها ابن هشام عن ابن اسحاق وعقب عليها بقوله :

« تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ . ولم يذكر نهى رسول الله ﷺ عن روايتها » .

---

(١) سيرة بن هشام ٢٩٤/٣ والاصابة ٥٢٩/٢ .
(٢) سيرة بن هشام ٢١/٣ ، ٢٢ .

ويعقب على ذلك الدكتور / سامى مكى العانى بما يكفينا التعقيب به فيقول : « ولو كان الرسول قد نهى عن انشادها ، فكيف وصلت الى ابن اسحاق • فدونها ثم من بعده ابن هشام ، ولماذا أهملا الاشارة الى هذا النهى لو كان موجودا ؟ علما بأنهما كانا يعلقان على النصوص فى قضايا أقل بكثير من هذه القضية»(١) •

والنص الثانى الذى نهى عنه رسول الله ﷺ هو قصيدة للأعشى فى هجاء علقمة بن علاثة ومدح عامر بن الطفيل والتى يقول فى مطلعها :

علقم ما أنت الى عـــامر   النـــاقض الأوتار والواتر

يقال : ان النبى ﷺ قال لحسان : يا حسان أنشدنا من شـــعر الجاهلية ما عفا الله لنا فيه ، فأنشده حسان قصيدة الأعشى فى علقمة• فنهى النبى ﷺ حسان عن تلاوتها • وقال له : لا تعد تنشد فى هـــذه القصيدة •فقال : يا رســـول الله تنهـــانى عن رجل مشرك مقيم عند قيصر ؟

فقال : ان قيصر سأل أبا سفيان عنى فتناول منى ، وسأل علقمة فأحسن القول ، فان أشكر الناس للناس أشكرهم لله تعالى » (٢) •

يقول البغدادى فى الخزانة : « ذكر أن النبى رخص فى الأشعار كلها الا هاتين الكلمتين كلمة أمية بن أبى الصلت فى أهل بدر ، وكلمة الأعشى بن علاثة » (١) •

---

(١) الاسلام والشعر ص ٧١ •
(٢) الاصابة ٢/٤٩٦ •
(٣) خزانة الأدب ٢/٤٣ ط بولاق •

وكما نهى النبى ﷺ عن الأشعار التى فيها هجاء للاسلام ورجاله أو التى تبيح الرذيلة أو التى عليها صبغة جاهلية ... الخ .

فانه ﷺ أهدر دم كثير من الشعراء الذين وقفوا من الاسلام موقفا عدائيا وحاربوا الدعوة وحرضوا على المسلمين ، وكذا الذين ارتدوا بعد ايمانهم كافرين . وهم كثـيرون نكتفى منهم بنموذجين اثنين .

أولهما : هو أبو عزة الجمحى : كان قد هجا رسول الله ﷺ فأسر يوم بدر كافرا . فقال : يا رسول الله ، انى ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن عـلى من الله عليك.قال : نعم . على أن لا تعين على — يريد بشعره — قال : نعم فعاهده وأطلق سراحه ثم قال :

ألا أبلغا عنى النبى محمدا
بـأنك حق والمليك حميـد
ولكن اذا ذكرت بدر وأهلها
تأوه منى أعظـم وجلـود

فعاد فى هجائه .ثم أسر بعد يوم أحد ، فقال : يا رسـول الله من على من الله عليك .

فقال الرسول ﷺ : « لا يلدغ المؤمن منجحر مرتين . والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : انى خدعت محمدا مرتين . اضرب

عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه » (١) .

وثانيهما : « هو مقيس بن صبابة الكنانى ، قدم من مكة مسلما فيما يظهر ، فقال : يا رسول الله جئتك مسلما ، وجئتك أطلب دية أخى قتل خطأ ، فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا فقال فى شعر له :

شفى النفس أن قد مات بالقاع مسندا
تضرج ثوبيه دماء الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله
تلم فتحمينى وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثؤرتى
وكنت الى الأوثان أول راجع
ثأرت به فهرا وحملت عقله
سراة بنى النجار أرباب قارع

فأمر الرسول ﷺ بقتله لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مشركا » (٢) .

هذه هى توجيهات الرسول ﷺ ونقداته وآراؤه السديدة التى وجه اليها الشعراء . وهذا هو منهجه الذى يتحدث عنه الدكتور محمود زلط فيقول : فمنهج الرسول ﷺ فى نظرته الى الشعر واضح جلى يستحسن الشعر ويستنشده ويعفو بالشعر عن المخطئين ، ويقبل التوبة ويعطى على قول الشعر ويهش لاستماعه (٣) .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٠٤ .
(٢) سير ابن هشام ٢/٢٩٣ ، وانظر : الاسلام والشعر ٧٤ د/ العانى .
(٣) رسالة الشعر : ١٥ .

الفصل الثاني

الأغراض الشعرية

جاء الاسلام بعد ما ألفت أذواق الشعراء أنماطا معينة من الشعر فى موضوعاته وألفاظه ومعانيه وراقت هذه الأنماط الناس جميعا من كان منهم شاعرا أو ليس بشاعر .

ولكن بعد أن أنزل الوحى من السماء بالدين الحنيف على محمد ﷺ ، وكثر أتباع هذا الدين ، كانت تعاليم الاسلام توجه هؤلاء الأتباع الى أنماط جديدة من الشعر والسلوك غير التى ألفوها فى حياتهم الأولى . اذ أن ما عاشوا عليه فى الجاهلية لا يصلح كله للحياة الجديدة فى الاسلام ، فلا بد من نبذ ما لا يتناسب مع مبادىء الاسلام وقيمه ، وفى الوقت نفسه لا بد من الانصياع لتعاليم الله والانتظام فيما يتفق ومبادىء وأخلاقيات الاسلام .

وكان من أبرز ما نهى الاسلام الشعراء عنه : النظم فى الغزل المتهتك والخمريات والهجاء المقذع والمغالاة فى الفخر بالاحساب والأنساب وما الى ذلك مما لا يليق وأخلاق الاسلام .

وفيما عدا ذلك ظل الشعر ينساب على ألسنة الشعراء عذبا رقيقا يصور حياتهم ويعبرون فيه عن آلامهم وآمالهم وعما يجيش فى صدورهم ويدور فى أفكارهم ، كما كان سلاحا ماضيا فى الدفاع عن الاسلام ورسوله الكريم والذود عن حياضه ، وكل أصحاب النبى ﷺ

كانوا أحد رجلين : أما شاعرا أو متمثلا بالشعر(١) .

واذا كان الاسم قد جاء الى العرب بمفاهيمه الجديدة وتعاليمه الرشيدة ، فألغى موضوعات الشعر لا تتفق مع أخلاقه ، واستجد موضوعات لم تكن معروفة للشعراء من قبل ولم تكن من مستلزمات الحياة الجاهلية التى عاشوها من قبل .

فان الاسلام قد أبقى على موضوعات للشعر كانت وما زالت يطرقها الشعراء ويخوضون غمارها . الا أن مضمون هذه الموضوعات يختلف عن ذى قبل سواء فى المعانى أو فى رقة الألفاظ وعذوبتها أو فى الأسلوب والتراكيب أو فى الخيال والصور الشعرية والبيانية .. وما الى ذلك مما يستلزمه التعبير .

ومن الموضوعات التى أبقى عليها الاسلام :

(١) المديح :

كان المديح فى الجاهلية مظهراً من مظاهر الأبهة والتعاظم والكبرياء ، فضلا عن الاستجداء رجاء النوال والعطاء ، وكل ذلك نهى عنه الرسول ﷺ كما نهى عنه الخلفاء الراشدون وقولة عمر فى زهير مدحا له مشهورة حيث قال فيه عمر « كان لا يعاظل فى القول ولا يتتبع حوشى الكلام ولا يمدح الرجل الا بما هو فيه » وذلك لأن الاسلام يدعو الى الواقعية وعدم المغالاة فى كل شىء .

---

(١) أنظر : جمهرة اشعار العرب ١٩ .

وقد كثرت المدائح فى الجاهلية ، حيث تعددت القبـائل وتعدد بتعددها شيوخ القبائل وكثر الرجال الذين يمتدحون كما يمتدح شيوخ القبائل • وأكثر المعانى التى طرقها الشـعراء فى مدائحهم تدور حول الشجاعة والاقدام والتباهى على القبائل بالغلبة والقوة وكثرة العدد • وحول الكرم والعطاء والقرى وحسن الضيافة •

وربما تدور المدائح فى الجاهلية حول معان أخر غير هذين المعنيين الا أن هذين المعنيين هما أبرز المعانى التى طرقها المـدح فى العصر الجاهلى •

لكن فى عهد الاسلام اختلفت الأمور وأصبح للمسلمين قـائدا واحدا هو الرسول ﷺ أو الخليفة من بعده • وأصبح على الشاعر أن يوجه مدائحه الى الرسول أولا ثم من يليه من الخلفاء أو الحكام • وبالطبع تغير مضمون القصيدة وتغيرت المعانى ورقت الألفاظ وسادت الواقعية فى التعبير لأن الاسلام يأبىَ غير ذلك •

وحاول الشعراء من خلال مدائحهم للرسول ﷺ أو لخلفائه أن يؤكدوا جملة المبادىء والأسس الاسلامية وأن يجسدوها فى مضمون شعرهم ليبثوها الى الناس من خلال شعرهم ولذلك كانت مدائحهم اقرب الى الشعر السياسى والتعليمى منها الى المدائح التقليدية •

وكان من أول المعانى التى طرقها الشعراء فى مدحهم للرسـول ﷺ وأخذت مساحات كبيرة من مساحات شعرهم الاسلامى ، معنى

الهداية ، وأن الرسول ﷺ أرسله الله تعالى هـاديا ومبشرا ورحمة للعالمين « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » .

وكان فخر الشعراء فى أن تبعوه فى هدايته ونوره ورحمته . وقد عبروا عن ذلك فخرا لهم ومدحا لرسولهم ﷺ . يقول كعب بن مالك :

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه
نور مضىء له فضل على الشهب
بدا لنـا فأتبعنـاه نصـدقه
وكذبوه فكنا أسعد العرب (١)

ولما كان العرب يتشككون فى أمر الرسـالة فى أول الأمر . والرسول ﷺ يؤكد لهم ذلك بما ينزل من القرآن الكريم وقد نزل عليه جبريل بقول الله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » .

ولما كان الأمر كذلك حاول الشعراء تأكيد صلة الرسالة الاسلامية بالسماء وأن رسول الله ﷺ لا يأتى بشىء من عند نفسه ، انما هو يبلغ عن الله رسالته عن طريق الوحى وأن الله تعـالى قال : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » ولذلك قال كعب بن مالك فى مدحه الرسول ﷺ موضحا هذا المعنى فى مدحته :

(١) ديوان كعب بن مالك ١٧٤ .

وفينا رسول الله نتبع أمره

إذا قال فينا القول لا نتطلع

تدلى عليه الروح من عند ربه

ينزل من جو السماء ويرفع (١)

ويقول أصيد بن سلمة فى هذا المعنى أيضا :

ان الذى سمك السماء بقدرة

حتى عـلا فى ملكه فتوحـدا

بعث الذى لا مثله فيمـا مضى

يدعو لرحمته النبى محمدا (٢)

وهذا المعنى مأخوذ من معنى قوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

وبعد أن يؤكدوا صلة الرسالة الاسـلامية بالسماء من خـلال مدائحهم لرسول الاسلام عليه الصلاة والسلام . يستخدمون شعرهم ومدائحهم فى الدعوة لهذا الدين الجديد وعرض مفاهيمه وشرح مبادئه والتعريف بما جاء به من الحق والعدل والفضيلة وكل ذلك يدعو الناس الى التوحيد واتباع هذا المنهج الجديد .

وفى ذلك يقول كعب بن مالك :

الحق منطقه والعدل سيرته فمن يجبه اليه ينج من تبب

ويقول فى قصيدة أخرى :

فمن يتبعه يهد الى رشـد ومن يكفر به يجز الكفور (٣)

---

(١) ديوان كعب بن مالك ٢٤٤ .

(٢) أسد الغابة ١/١٠١ .

(٣) الديوان ١٧٤ ، ٢٠٣ .

وبعد أن انتقل الرسول ﷺ الى جوار ربه لم يكن شعر الشعراء فيه رثاء وانما كان مدحا وثناء وكأنهم لحظوا أن الرسول ﷺ موصول الحياة ، وأنهم يخاطبونه ميتا كما يخاطبونه حيا .

وكانوا وهم يمدحونه بعد موته يعبرون عن عواطفهم الدينية ويتقربون الى الله تعالى بالثناء عليه ونشر تعاليمه بين البشرية جميعا ، كما أنهم يرجون من الله المثوبة على ماقدموه للاسلام بدفاعهم عن الدين الحنيف ومدحهم لرسول الله ﷺ وتطويع شعرهم للدعوة الى الدين الحنيف . وأعظم ما كانوا يرجونه من الله تعالى أن يجمعهم مع رسولهم الكريم فى جنة الخلد حتى يحظوا بشفاعته ويأنسوا بجواره ويتشرفوا بلقائه ﷺ . وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :

يا رب فاجمعنا معا ونبينا
فى جنة تثنى عيون الحسد
فى جنة الفردوس فاكتبها لنا
ياذا الجلال وذا العلا والسؤدد

ويقول فى قصيدة أخرى :

وليس هوائى نازعا عن ثنائه
لعلى به فى جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وفى نيل ذاك اليوم أسعى واجهد(١)

يقول الدكتور / سامى مكى العانى : « وحسان خليق بأن يسمى رأس البديعيين ، فهو الذى بدأ الشعر فى المديح النبوى ، وبعده كعب ابن زهير بن أبى سلمى ، وقد سارت مديحة كعب على الزمان ، وقلدها كثير من الشعراء على مر العصور . فعارضوها وشطروها وخمسوها ، -

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ٢٠٩ ، ٢٠٦ .

وكثرت شروحها » (١) ٠

هذا ما كان من مدائح الشعراء للرسول ﷺ ٠ أما حين كان الشعر مدحا للخلفاء من بعد الرسول ﷺ ٠ وللبارزين من أصحابه ٠ فان الشعراء كانوا يصورون فيهم الجوانب المضـيئة ويعددون مناقبهم ويفاخرون بانتصاراتهم ويعتبرون اقتداء الخلفاء والأصحاب بالرسول ﷺ والالتزام بمنهجه وتعاليمه وسلوك سبيله من أعظم المناقب التى يجب ابرازها فى الممدوح ٠ ومن ذلك قول عمرو بن عاصم فى مدحه للخليفة عثمان بن عفان :

ان ابن عفـان الذى جربتم
فطم اللصوص بمحكم الفرقان
ما زال يعمل بالكتاب مهيمنا
فى كل عنق منهم وبنان (٢)

وقول حسان فى مدحه للزبير بن العوام :

أقام على عهد النبى وهديه
حواريه والقول بالفعل يعدل
أقـام على منهاجه وطريقه
يوالى ولى الحق والحق أعدل (٣)

ولمـا كان الشعراء فى صدر الاسلام يعيشون بالدعوة وللدعوة

---

(١) الاسلام والشعر ص ١٤١ ، وانظر : تاريخ الأدب العربى عمر فروخ ٣٢٦/١ ٠
(٢) الطبرى ٢٧٢/٤ ٠
(٣) الديوان ٢٩٤ ٠

يمدحون الرسول ﷺ وينشرون تعاليمه ويبثون مبادئه ويوضحون منهجه وشريعته ، وقد تمكنت العقيدة من قلوبهم أيما تمكن ، وهاموا بأرواحهم وقلوبهم فى الملك والملكوت استحدثوا نوعا من المديح توجهوا به الى الذات لعلية ، هذا النوع من القول هو أقرب الى التضرع منه الى المديح • ومن ذلك قول حسان بن ثابت مادحا متضرعا :

وأنت الـه الخلق ربى وخـالقى
بذلك ما عمرت فى الناس أشـهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سـواك الهـا انت أعلى وأمجد
لك الخلق والنعمـاء والأمـر كله
فاياك نستهدى واياك نعبد (١)

(٢) الرثـاء : ـ

هو تعبير الشاعر عما يجيش فى صدره من مشاعر الألم والفجيعة حزنا على المتوفى وحسرة على الذين فجعوا فيه •

وهو غرض من أغراض الشعر توارثه الشعراء فى الجـاهلية والاسلام وهو وثيق الصلة بالمديح • الا أن المديح ثناء مشوب بالفخر بصاحب الشمائل ، والرثاء ثناء مشوب بالبكاء على هذه الشمائل التى تضيع بفقد صاحبها اذا كان من غير الرسل وأصحاب المكارم • وأما أصحاب المكارم من حوارى الرسل وخلفائهم فان اقتداءهم بالرسـل يظل اقتداء لغيرهم بهم •

وكان الشعراء فى الجاهلية يندبون قتلاهم ويتفجعون على موتاهم ويذكرون مآثرهم من غير أن يتأملوا فى الحياة والموت وفى الدنيـا

---

(١) ديوان حسان ٣٣٨ •

العاجلة التى تعقبها حياة أبدية أخروية فيها جنة ونار وحساب وعذاب وثواب وعقاب •

أما فى الاسلام فقد تغير مضمون الرثاء عنه فى الجاهلية • اذ أن الشعراء فى الإسلام ينفذون من حديثهم عن الميت وحزنهم وتفجعهم عليه ومن ذكرهم لمآثره وتعددهم لمناقبه الى فلسفة الموت والى سنة الله فى الكون والتأمل فى الحياة وما يذهب منها وما يتجدد فيها والى أنها فى نهايتها ظل زائل وفىء لا يدوم • فتطمئن قلوبهم ويسلمون بقضاء الله وقدره ، فلا بقاء الا لله ولا مرجع الا الى الله • ولا يقول المسلم الا ما يرضى الله : « انا لله وانا اليه راجعون » •

وهذه معان جديدة استنبطها الشعراء من روح الاسلام وتعاليمه ومنهجه الجديد • وهذه المعانى وان كان بعضها أو قليل منها فى بعض شعر الجاهليين الا أن قضية التسليم لرب العالمين بالقضـاء والقدر والازعان له سبحانه رجاء المثوبة لم يكن ذلك فى الجاهلية وانما هى معان جديدة فى الاسلام وهى من صميم منهج الله وشريعته •

واذا كان المتوفى تعدد مناقبه ومآثره فى الجاهلية فى الشعر الذى يرثيه به الشعراء ، فان المتوفى فى الاسلام أيضا تعدد مناقبه ومآثره مضافا اليها ما يوصف به المتوفى من صفات التقوى والايمان والطهارة والنقـاء وحب الخير والبر والاحسـان والتخلق بالوفـاء والرحمة والتواضع •• وما الى ذلك من أخلاق الاسلام •

واذا كان الشاعر يبكى فى المتوفى هذه الشمائل وتلك الخصال الكريمة فما بالك اذا كان المتوفى هو المنزل عليه الوحى بهذه الشمائل وتلك الخصال وهو القدوة والأسوة الحسنة • لابد أن تكون الفجيعة أعظم والمصيبة أفدح • ولذلك قال حسان بن ثابت فى رثائه للنبى ﷺ :

بالله ما حملت أنثى ولا وضــعت
مثل النبى رسول الرحمة الهادى
ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد
أوفى بذمــة جــار أو بميعـــاد
من الذى كان نورا يســتضاء به
مبــارك الأمر ذا حزم وارشــاد
مصدقــا للنبيين الأولى ســلفوا
وأبذل الناس للمعروف للجادى(١)

وينتقل الخلفاء الراشدون الواحد منهم اثر الآخر الى جوار ربه ويرثيهم الشعراء ويعددون مناقبهم ويتفجعون عليهم ٠

فبعد أن استقر الأمر لأبى بكر فى ثقيفة بنى ساعدة واستتبت له الخلافة ، ارتدت بعض القبائل عن الاسلام ، ومنعوا الزكاة وتوقف بعضهم عن الصلاة ونقضوا كثيراً مما كانوا قد عاهدوا رسول الله ﷺ عليه من عرى الاسلام وتشريعاته ، فما كان من أبى بكر ا لاأن حاربهم وانتصر عليهم وعاد المسلمون جميعا الى كلمة سواء ، ثم رأى أبو بكر ورأى كبار الصحابة أن يوسعوا دائرة الاسلام فى خــارج الجزيرة العربية ، تنفيذا لتعاليم الاسلام حيث ان رسالة الرسول محمد ﷺ كانت للناس كافة ، وقد بدأها ﷺ فى الجزيرة العربية ، وبعد أن انتقل الى جوار ربه ، كان على أصحابه أن يكملوا المسيرة من بعده ٠

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ٢٠٨ ٠

وبالفعل فقد أرسل أبو بكر جيوشه الى خارج الجزيرة العربية ، حيث أرسل جيشين الى الحيرة والعراق بقيادة المثنى بن حارثة وخالد بن الوليد فسقطتا فى أيديهما ، ووالى أبو بكر ارسال الجيوش الى البلاد المتاخمة للجزيرة العربية ، وتوالت انتصارات جيوشه فى فلسطين واليرموك وأجنادين وغيرها من المواقع التى حارب فيها الجيش الاسلامى • وارتفعت راية الاسلام خفاقة على كل موقعة انتصر فيها الحق على الباطل •

ثم لبى أبو بكر داعى الحق وانتقل الى جوار ربه فى السنة الثالثة عشرة للهجرة النبوية الشريفة • وبكاه الشعراء بكثير من الشعر الذى جادت به قرائحهم • ومن ذلك ما قاله حسان بن ثابت فى رثائه لأبى بكر :

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالى الثانى المحمود سيرته
وأول الناس صدق الرسلا
وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد
طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا
خير البرية لم يعدل به رجلا (١)

ويخلف أبا بكر عمر بن الخطاب الذى كان قويا فى الحق ولا يذكر

---

(١) المصدر نفسه ٢٩ •

الا بصفته (العادل) و (الفاروق) • وهو أول من لقب بأمير المؤمنين ، وأول من دون الدواوين ورتب الناس فيها على ســوابقهم وأول من جعل التاريخ العربى هجريا ، وكان له باع طويل فى الجهــاد ونشر الاسلام ، اذ فتح الله عليه الفتوح ، وانتصرت جيوشــه على الروم والفرس ، وتعقبهم بجيوشه فى كل مكان من بلادهم ، واتسعت رقعة الاسلام فى عهده ، وعم الخير والحق والعدل أرجاء البلاد التى يحكمها عمر ولكن تمتد اليه يد أبى لؤلؤة المجوسى فيرديه شهيدا فى مسجد رسول الله ﷺ حين كان يصلى بالمسلمين صلاة الفجر •

ويرثيه الشعراءرثاء حارا ، وينظمون فيه قصــائد كلها دموع وحزن وحسرة •

ومن أروع ما قيل فى رثائه • ما قاله جزء بن ضرار أخى الشماخ :

جزى الله خيرا من أمير وبــاركت
يد الله فى ذاك الأديــم الممــزق
فمن يسع أو يركب جناحى نعامة
ليدرك ما حاولت بالأمس يســبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدهــا
بوائق فى أكمامهــا لم تفتق (١)

وبعد أن مات عمر بن الخطاب تولى الخلافة عثمان بن عفان ، وكان سادس ستة رشحهم عمر لينتخبوا من بينهم خليفة المسلمين من بعده وقد انعقد اجمــاع الصحــابة على توليته خليفة عليهم ، ولكن اضطربت الأحوال فى عهده ، واشتعلت ثورة المناهضين له فى كل مكان

---

(١) الأغانى ١٥٩/٩ •

من البلدان التابعة لخلافته ، وانتهت هذه الثورات بمقتلة رضى الله عنه وفاضت قرائح الشعراء بشعر كثير يفيض حزنا وأسى عليه .

ومن ذلك قول أيمن بن خريم :

ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ضحى
وأى ذبح حرام لهم ذبحوا
ان الذين تولوا قتله سفها
لاقوا أثاما وخسرانا فما ربحوا
ماذا أرادوا أضل الله سعيهم
بسفحهم للدم الزاكى الذى سفحوا (١)

وتولى الخلافة بعد عثمان على بن أبى طالب بن عم الرسول ﷺ الا أن بعضا من الصحابة شقوا عليه عصا الطاعة ولم يبايعوا عليا ، وأراد كل منهم أن يأخذ البيعة لنفسه ، ومن هؤلاء طلحة والزبير وقد انضمت اليهما عائشة لا لتكون لها البيعة ، ولكن حنقا على على ، ولعل ذلك كان نتيجة تحريض على رسول الله ﷺ على تطليقها بعد حادثة الافك التى منيت بها عائشة فأرادت أن تنتقم لنفسها فانضمت الى الخارجين . ولكن عليا حاربهم وانتصر عليهم فى موقعة الجمل وقتل طلحة والزبير وانسحبت عائشة من الميدان . ثم كانت بعد ذلك معركة (صفين) بين على ومعاوية ، الذى ارتدى قميص عثمان فى المطالبة بدمه ، وكان النصر فى هذه المعركة لعلى لولا أن معاوية وقائده عمرو بن العاص لجآ الى حيلة يوقفان بها المعركة ، وهى أن أمرا جنودهما بأن

---

(١) الاستيعاب ٤٩٣ .

يرفعوا المصاحف على أسنة الرماح فانخدع بذلك جيش على وحاول — عبثا — على أن يقنع جنده بأن هذه مكيدة للخروج بها من الهزيمة ولكن جند على أصروا على توقف القتال عملا بقول الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »(١) •

وكانت لجنة التحكيم بين الطرفين من أبى موسى الأشعرى قاضى على وعمرو بن العاص قاضى معاوية ، وعن طريق الحيلة خلع أبو موسى الأشعرى صاحبه — أعنى عليا — وثبت عمرو بن العاص صاحبه — أعنى معاوية — واضطرب الموقف وساد القلق وتزعزع بعض الناس بالنسبة لعلى ، وخرج على حكمه بعض من جنوده ، سموا بالخوارج ، اتخذوا لأنفسهم معسكرا فى (حروراء) بالقرب من الكوفة وبايعوا (عبد الله بن وهب الراسبى) بالخلافة ، وانضم اليهم بعض من جند على ، وحاول على اقناع الخارجين بالانضواء تحت جيشه والانصياع لكلمته ولكن ذلك دون جدوى ، فتصدى لهم على وحاربهم وهزمهم هزيمة منكرة عند مصب قناة النهروان فى دجلة ، وفر بعض الناجين من سيفه وكان منهم عبد الرحمن بن ملجم الذى تحين فرصة واغتاله على غرة منه فى ١٣ من رمضان سنة ٤٠ هـ •

ورثاه الشعراء رثاء حارا فى شعرهم ، ومن ذلك ما قاله أبو الأسود الدؤلى (٢) :

---

(١) الأنفال : الآية ٦١ •
(٢) الأغانى : ١٢/٣٢٦ •

أفى شــهر الصــيام فجعتمونا
بخير النــاس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطــايــا
وخيسها ومن ركب السفينا (١)
اذا استقبلت وجه أبى حسين
رأيت البدر راق النــاظرينــا
لقــد علمت قريش حيث حلت
بأنك خيرهــا حسبــا ودينــا

وأذا كان الشعراء فى الجاهلية يرثون قتــلاهم الذين تصرعهم المعارك ويتفجعون عليهم فان شعراء الاسلام قد جد فى شعرهم لون من الرثاء جديد . وهو رثاء الشهداء . والشاعر وهو يعدد منــاقب الشهيد ويتحدث عن شجاعته واقدامه يضيف الى ذلك معنى روحيا ، وهو أن الشهيد قد فاضت روحه فى سبيل الله ، وطالما كان المسلم يحلم ويتمنى أن يتحقق حلمه بأن يموت شهيدا ، وذلك لأن القرآن الكريم قد تحدث عن الشهداء بأنهم لا يموتون كما يموت الناس ، وانما يظلون فى حياة دائمة ينعمون بمــا وعدهم الله به من نعيم مقيم فى الجنة . يقول الله تعالى : « و لاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم اللــه من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » (٢) .

ومن منطلق هذه المعانى القرآنية الكريمة عبر الشعراء فى رثائهم لشــهداء الاسلام .

---

(١) خيسها : ذللها .
(٢) آل عمران الآيات : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

يقول حسان فى رثائه لحمزة بن عبد المطلب وقد استشهد فى أحد :

أسائله أصحاب أحد مخــافة
بنــات أبى من أعجم وخبير
فقلت لها : ان الشهادة راحة
ورضوان رب يا أمــام غفور
فا نأبــاك الخير حمزة فاعلمى
وزير رســول الله خير وزيــر
دعاه اله الخلق ذو العرش دعوة
الى جنة يرضى بهــا وسرور
فذلك مــا كنــا نرجى ونرتجى
لحمزة يوم الحشر خير مصير (١)

ومن الرثاء المستحدث فى الاسلام والذى لم يألفه الجاهليون ولم يكن لهم عهد به رثاء الشــاعر لنفسه • وهو قمة التسليم بقضاء الله وقدره ، واليقين بأن الحياة الى زوال ، وأن الآخرة هى خير وأبقى •

والنماذج لهذا النوع من الرثاء كثــيرة ، لكثــير من الشــعراء المسلمين الذين رثوا أنفســهم ، ونكتفى بنموذج واحد • وهو رثاء الشاعر كثير بن الغريزة النهشلى لشهداء المســلمين بمعارك الطالقان وجوزجان من أرض فارس فى عهد عمر بن الخطاب حيث أودع هذه القصيدة رثاء لنفسه ، بعد أن فقد أصحابه وأحس بدنو أجله • فقال :

فــلا تســتبعدا يومى فانى
سأوشــك مرة أن تفقدانى
ويدركنى الذى لا بد منــه
وان أشفقت من خوف الجنان

---

(١) الديوان ١٨٦ •

وتبكيني نوائــح معــولات
تــركن بدار معترك الزمان
حبائس بالعراق منهنهــات
سواجى الطرف كالبقر الهجان
أعــاذلتى من لوم : دعــانى
وللرشد المبين فاهديــانى
وعــاذلتى صوتكمــا قريب
ونفعكما بعيد الخــيروان
فردا الموت عنى ان أتــانى
وأبيكما لا ، لا تفعلان (١)

وأكثر من ذلك أن الشــعراء المسلمين استحدثوا نوعا آخر من الرثاء وهو رثاء الأعضاء التى تفقد فى ساحات القتال وفى معارك الفتح الإسلامى . والشاعر الاسلامى حين يرثى ما افتقده من أعضاء انما يفتخر بما أوقعته هذه الأعضاء بالأعداء قبل أن تفقد ، وفى ذات الوقت يحتسبها عند الله عز وجل ، ويتمنى أن يلحق الشاعر المجاهد بهذا العضو وأن يموت شهيدا فى سبيل الله لينعم بما أعده الله للشهداء فى الجنة . وإن لم يمت شهيدا فحسبه ما قدمه لله من أعضاء ونال الثواب والأجر من الله على ذلك .

يقول عثمان بن مظعون بعد أن فقد عينه وهو يجاهد فى ســبيل الله :

فان تك عينى فى رضا الرب نالها
يدا ملحد فى الدين ليس بمهتــد

(١) الأغانى ١١/٢٧٨ (طبعة دار الكتب) .

فقد عوض الرحمن عنهـا ثوابه
ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد (١)

وحينما قطعت رجل عبيدة بن الحارث فى معركة بدر احتسبها عند الله وعدها وسيلة له يصل عن طريقها الى جنة الله ورضوانه .

وفى ذلك يقول عبيده :

فان تقطعوا رجلى فانى مسلم
أرجى بها عيشا من الله دانيـا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت
مع الجنة العليـا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشا تعرفت صـفوه
وعالجتـه حتى فقدت الأدانيـا
فأكرمنى الرحمن من فضل منه
بثوب من الاسلام غطى المساويا
وما كان مكروهـا الي قتـالهم
غداة دعا الأكفار من كان داعيا(٢)

وهكذا اختلف الرثاء فى الاسلام عنه فى الجاهلية ، اذ أن الشعراء المسلمين تمثلوا بروح الاسلام وتوجيهاته فى مقابلة المصائب وعنـد نزول النوائب ، فشاع فى تعبيرهم الرضا بالقضاء والصبر على البلاء، كما شاعت فيه سماحة الاسلام والطمـأنينة الى تعاليم هذا الـدين الحنيـف .

---

(١) حلية الأولياء ١٠٤/١ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢٤/٢ .

٣ ــ الهجـــاء :

بدأ النبى صلى الله عليه وســلم دعوته فى مكة حينمــا نزل عليه الوحى من السماء بالرسالة الاسلامية الســمحة • فآمن بدعوته من شرح الله صدره للاسلام وضل عن هذه الدعوة من أضله الله وطمس على قلبه وجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء •

ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورجال دعوته الذين آمنوا برسالته بقتال أثناء دعوة النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة •

ولكن بعد أن هاجر رسول الله والمسلمون الى المدينة واتســعت رقعة الاسلام وزاد عدد المسلمين وقويت شكيمتهم اذن الله لهم بقتال المشركين ورد اعتبارهم ، والله من ورائهم ينصرهم ويؤازرهم ويسدد خطاهم • حيث يقول الحق تبارك وتعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير • الذين أخــرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » •

وبدأت من يومها غزوات النبى صلى الله عليه وسلم،وبدأ الصراع والقتال بين المسلمين والمشركين بحد السيف •

ولما كان العرب يملكون ناصية الكلمة وذمام البيان ، وكلهم يعرف أن الشعر له مضاء السيف فى القتــال • بدأت معركة الهجاء مؤازرة لمعركة السيف ، وتراشق الجانبان بقصائد الهجاء • والرســول صلى الله عليه وسلم من وراء الشعراء المسلمين يشجعهم ويدفع بهم ليردوا عن دينهم ويذودوا عن حياض الاسلام • ويقول للشعراء المسلمين : « قولوا لهم مثل ما يقولون لكم »(١) •

ويقول للأنصار : « ما يمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم

---

(١) العقد الفريد ١٤٥/٦ •

أن ينصروه بألسنتهم « وحين يوجه المشركون هجاءهم له يقول لحسان ابن ثـابت : « أجب عنى » ثم يدعوا له بقوله : « اللهم أيده بروح القدس » ويقول صلى الله عليه وسلم أيضا لحسان : « اذهب الى أبى بكر ليحدثك بحديث القـوم وأيامهم وأحسـابهم ثم أهجهم وجبريل معك فأتى أبا بكر رضى الله عنه فأعلمه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : كف عن فلانة واذكر فلانة فقال حسان ردا على أبى سفيان بن الحارث الذى هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هجـوت محمدا فأجبت عنـه
وعنـد الله فى ذاك الجـزاء
فان أبى ووالـده وعرضى
لعرض محمـد منكم وقـاء
أتهجـوه ولست لـه بكفء
فشركما لخيركما الفـداء (١)

واشتدت معركة الهجاء بين الفرقين ، واقترن الهجاء بالقتـال فى سبيل الدعوة كما قال حسان بن ثابت :

لنـا فى كـل يـوم من معـد
سباب أو قتـال أو هجـاء
فنحكم بالقوافى من هجـانا
ونضرب حين تختلط الدماء(٢)

واذا كان الهجاء فرديا وجماعيا فى الجاهلية فقد استمر النوعان فى الاسلام ، وبرز شـعراء عرفوا بقوة شـاعريتهم فى هذا الفن من الفريقين المتحاربين المتهاجيين الا أن الهجاء فى الاسلام قـد إختلف

---

(١) أنظر الأغانى فى مجلد ٢ ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ ط التحرير .
(٢) الديوان ٧٤ .

فى مضغونه عنه فى الجاهلية ، اذ منع الاسلام التلفظ بالحديث عن الأعراض ، والقذف بألوان السباب والمساوىء ، وانما كان الهجاء بالكفر والضلال ، والبعد عن الحق والخير ، وكذا بالوقائع والأيام والمآثر وكان حسان وكعب يعيرانهم بالمثالب ٠ ولكن دون قذف أو افحاش وتناول للأعراض ٠

وفى ذلك يقول صاحب الأغانى : « كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب » وعمرو بن العاص ، فقال قائل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : اهج عنا القوم الذين هجونا ٠

فقال على رضى الله عنه : ان أذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت ٠ فقال رجل : يا رسول الله ، أئذن — لعلى كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين هجونا ٠ فقال : ليس هناك ، أو ليس عنده ذاك ٠ ثم قال للأنصار : ما يمنع الذين نصروا رسول بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرنى به مقول من بصرى وصنعاء ٠ فقال : كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ فقال أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ٠ فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ٠

فكان حسان وكعب يعارضنهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب ٠ وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، ويعلم أنه ليس فيهم أشر من الكفر ، وكان فى ذلك الزمان أشد القول على الكفار قول حسان بن ثابت وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وتفقهوا فى الاسلام كان أشد القول عليهم قول

ابن رواحـــة(١) •

وإذا ما تصفحنا دواوين الشعراء المسلمين فى صدر الاســلام وقفنا على أهاجيهم للمشركين وجدنا هذه الأهاجى ، وان كان الشعراء قد استجابوا لنداء الاسلام وامتنعوا عن الهجر فى القول والنيل من الأعراض الا أنهم فى بقية أهاجيهم كانوا استمرارا لأسلوب الجاهليين فى التعبير بالألقاب وردىء الخصال وابراز المثالب •

ويبدو أن الجاهليين لم يجد معهم فى معركة الهجاء الا استخدام أســلوبهم ولذلك كان النبى صــلى الله عليه وســلم يقول لشــعراء الاسلام : « قولوا لهم مثل ما يقولون لكم » •

وان كان القرآن الكريم قد هجاهم بأســلوب آخر يعتمــد على تسفيه معتقداتهم ومناقشة حججهم وكشف طويتهم وفضح ما يســرون وما كانوا يتآمرون •

يقول فى ذلك الدكتور / سامى العــانى : « ويتلخص أســلوب القرآن الجديد فى هجائهم بطريقتين تختلفان فى أسلوبهما ، وان كانتا تنتهيان الى غاية واحدة ، بناقش حجتهم بالدليــل وبالمنطق فيــورد أقوالهم ثم ينقضها عليهم مبينا تفاهتها وضعف ما تستند اليه •

والطريقة الثانية : اعتماده على التاريخ ، يروى منه ما يكســو خصومه العار ، ويصور أن ضلالتهم واعتمادهم ليس بالشىء الجديد، وقد يعتمد على تصوير الحال وابرازه مجسما بالتمثيل أو بالقاء الضوء على ما يتآمرون به فى الظلام »(١) •

---

(١) الأسلام والشعر ص ١٤٤ ، ١٤٥ • وأنظر : الهجاء والهجاؤون ١٨٩ وما بعدها •

ومن هجاء القرآن الكريم للمشركين : أن أمية بن خلف كان اذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه فأنزل الله تعالى فيه : « ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده ، كلا لينبذن فى الحطمة ، وما أدرك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ، التى تطلع على الأفئدة ، انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة »(١) .

ومن ذلك أيضا ما هجا به الوليد بن المغيرة ووصفه فى القرآن الكريم بأوصاف ذميمة حيث يقول الله تعالى ناهيا الرسول صلى الله عليه وسلم عن طاعة المكذبين الذين عرضوا عليه أن يلين لهم فيلينوا له . يقول الله تعالى فى ذلك : « فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون . ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم .

عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين . اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . سنسمه على الخرطوم »(٢) .

وأنزل الله تبارك وتعالى سورة المسد هجاء ووعيدا لأبى لهب وزوجته أم جميل بنت حرب (حمالة الحطب) يقول الله فيها : « تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد » فلما سمعت أم جميل ما نزل فيها وفى زوجها أتت أبا بكر وفى يدها فهر (حجر) فقالت : يا أبا بكر : أين صاحبك ؟ فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهرفاه ، أما والله انى لشاعرة ثم قالت :

---

(١) ابن هشام ٣٥٦/١ وأسباب النزول ٨١٢ .
(٢) سورة القلم من الآية ٨ الى الآية ١٦ .
(٣) : صفوة التفاسير مجلد ٣ ص ٤٢٦ .

مذممـا عصـينا   وأمـــره أبينـــا

ودينــه قلينـــا

ومن هجاء الله للمنافقين ووصفهم بالمكر والخداع والتآمر على المسلمين فى القرآن الكريم • قوله تعالى : « واذا لقوا الذين آمنــوا قالوا آمنا ، واذا خلــوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ، انمــا نحن مستهزئون • الله يستهزىء بهــم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضـــلالة بالهدى ، فمــا ربحت تجــارتهم وما كانوا مهتـــدين »(١) •

وقوله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قـــوله فى الحياة الدنيـــا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام • واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد • واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد »(٢) •

ومن هجاء الله تعالى لليهود فى القرآن الكريم وتوعدهم باللعنة قوله تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لســان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتنــاهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »(٣) •

---

(١) سور البقرة الآيتان ١٤ ، ١٥ •
(٢) سورة البقرة الآيات ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ •
(٣) سور المائدة الآيتان ٧٨ ، ٧٩ •

وغير ذلك من هجاء الله للمشركين والمنافقين واليهود فى القرآن الكريم حيث يسفه الله طيشهم ويفضح خداعهم ويتوعدهم وينذرهم، ويتبع أسلوبا جديدا فى الهجاء لا يعرفه الشعراء الذين استخدموا سلاح الهجاء فى المعركة التى دارت رحاها بين المسلمين والمشركين .

الا أن الشعراء المسلمين كانوا فى بعض أهاجيهم يجنحون الى أسلوب فى الهجاء يتأثرون فيه بأسلوب القرآن الكريم ، فكانوا يعيرونهم بالشرك وعبادة الأوثان وسوء المصير ، وبالصد عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصاق ما لا يليق به من الصفات . ومن ذلك قول كعب بن مالك فى هجائه لقريش :

فكب أبو جهل صريعا لوجهه
وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيمى غادرن فى الوغى
وما منهم الا بذى العرش كافر
فأمسوا وقود النار فى مستقرها
وكل كفور فى جهنم صائر
وكان رسول الله قد قال : أقبلوا
فولوا وقالوا : انما أنت ساحر(١)

وقوله فى هجائه لبنى النضير الذين كفروا بمحمد وأنكروا نبوته :

لقد خزيت بغدرتها الحبور
كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب
عزيز أمره أمر كبير

---

(١) الديوان ٢٠١ .

وقـد أتوا معـا فهما وعلمـا
وجـاءهم من الله النـذير
فقالوا : ما أتيت بأمر صـدق
وأنت بمنكـر منا جـدير
فقال : بلى ، لقد أديت حقـا
يصدقنى به الفهم الخبير
فلمـا أشربوا غـدرا وكفـرا
وحـادبهم عن الحـق النفور
أرى الله النبى برأى صدق
وكان الله يحكـم لا يجـور
فأيـده وسـلطه علـيهم
وكان نصيره نعـم النصير
فتلك بنـوا النضير بدار سـوء
أبارهم بما اجترموا المبير(١)

ونجد حسان بن ثابت يمزج بين منهج القرآن الكريم فى الهجـاء وهو منهج من طراز رفيع ، وبين المنهج الذى تعارفوا عليه فى الهجاء من ذكر المثالب والألقاب والخصال الذميمة فقال فى هجائه لأبى سفيان بن الحـارث :

ولست بذى دين ولا ذى أمانة
ولست بحر من لؤى ولا كعب
ولكن هجـين ذو دناة لمقـرف
مجاجة ملح غير صاف ولا عذب(٢)

---

(١) الديوان ٢٨٣ .
(٢) الديوان ص ١١١ .

وفى بعض الأحايين يتبع حسان منهج الاسلام فى هجاء المشركين ويتأثر فى معانيه بمعانى القرآن الكريم • ومن ذلك قوله يعير قريشا بتغرير ابليس لهم ، وبموالاتهم له وطاعتهم اياه :

سرنا وساروا الى بدر لحينهم
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم
ان الخبيث لمن والاه غرار
وقال : انى لكم جار فأوردهم
شر الموارد فيه الخزى والعار(١)

وفى هذه الأبيات تأثر بالقرآن الكريم واشارة الى معنى قوله تعالى : « واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبية وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب »(٢) •

ويقول حسان أيضا معيرا قريشا بطاعة الشيطان وبنداء الشرك وشعاره :

طاوعوا الشيطان اذ أخزاهم
فاستبان الخزى منهم والفشل
حين صاحوا صيحة واحدة
مع أبى سفيان قالوا : أعل هبل(٣)

وهذا عمارة بن قريط يهجو قومه بنى عامر الذين ارتدوا عن

---

(١) الديوان ٣٨٨ •
(٢) الأنفال الآية ٤٨ •
(٣) البداية والنهاية ٤/٦١ •

فرائض الاسلام فأبطلوا الصلاة وامتنعوا عن الزكاة • بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم • فهجاهم عمارة ملتزما بمنهج الاسلام وتعاليمه • فقال :

ثقلت صلاة المؤمنين عليكم
بنى عامر والحق جد ثقيل
وأتبعتموها بالزكاة وقلتم
ألا لا تقروا منهما بفتيل
فلا يبعد الله المهيمن غيركم
سبيلكم فى كل شر سبيل(١)

النقائض :

ونتيجة لمعارك الهجاء الضارية التى توهجت وعلا أوارها بين الشعراء المسلمين والشعراء المشركين ، تطرق هجاؤهم الى ما يعرف بالنقائض • وهو فن وجدت بذوره فى الجاهلية بين شعراء هذيل وبين شعراء الأوس والخزرج وغيرهم من الشعراء الجاهليين •

ولكن اتسعت رقعة هذا الفن فى معارك الهجاء فى الاسلام • ويعتمد هذا الفن على نقض الشاعر للمعانى التى ترد فى قصيدة الشاعر الآخر عن طريق التكذيب والمقابلة والقلب والتوجيه والوعيد والشماتة • ويكون ذلك فى قصيدة من نفس البحر والقافية والروى الذى بنى الشاعر الاخر عليه قصيدته •

« وقد تميزت المناقضات الاسلامية بسمو الموضوعات التى عالجتها ونبل الغاية التى قصدت اليها • فموضوعاتها هى الاسلام ودعوته وغايتها اخراج الناس من الظلمات الى النور ، ومن ضيق الكفر الى سعة الاسلام •

---

(١) الاصابة ١٢٢/٢٠ •

أما معـــانى تلك المناقضات فكانت على نوعين :

اســلامية جـديدة : كالايمــان والكفر والجنة والنار والوحى والملائكة • وأخرى قريبة من المعانى الجاهلية : تعالج المآثر والأحساب والمثالب والأيام والتهديد والوعيد »(١) •

هذا وقد اشتهر فى فن النقائض من شعراء المسلمين : حســان ابن ثابت وكعب بن مالك ، ومن شــعراء قريش : أبو سفيان بن حرب وعمرو بن العاص وهبيرة بن أبى وهب وضرار بن الخطاب •

وهذه نماذج مما قيل فى المعركة الكلامية التى دارت رحاها بين شعراء الاسلام وبين غيرهم من الشعراء •

فعندما فخـــر عمرو بن العـــاص بنصر قريش فى أحــد ، وعجز المسلمين عن تحقيق هذا النصر فقال :

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا
مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
تمنت بنو النجار جهــلا لقاءنا
لدى جنب سلع والأمانى تصدق
فما راعهم بالشر الا فجاءة
كراديس خيل فى الأزقة تمرق
أرادوا لكيمــا يستبيحوا قبابنا
ودون القباب اليوم ضرب محرق
كأن رؤوس الخزرجيين غـــدوة
وايمــانهم بالمشرفية بــروق

فنقض كعب بن مالك ما قاله عمرو بن العاص فى هذه الأبيــات ، سالكا معه سبيل التوجيه ، دون تخاذل لعدم انتصار المســلمين فى

---

(١) الاسلام والشعر ص ٣٦ د/ سامى العانى •

هذه المعركة ، بل صور صبر المسلمين وبلاءهم واصرارهم على الحق وتمسكهم بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم • فقال :

ألا أبلغا فهرا على نأى دارها
وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بأنا غداة السفح من بطن يثرب
صبرنا ورايات المنيـة تخفق
صبرنا لهم والصبر منا سجية
اذا طارت الأبرام نسمو ونرتق
لنا حومة لا تستطاع يقودها
نبى أتى بالحق عف مصـدق
ألا هـل أتى أفناء فهربن مالك
مقطع أطراف وهام مفلق(١)

وحينما افتخر أبو سفيان بن حـرب بقتل المسـلمين فى أحد • وقال فى فخره بذلك :

وسلى الذى قد كان فى النفس أننى
قتلت من النجـار كل نجيب
وبنى هاشم قوما كريما ومصعبا
وكان لدى الهيجـاء غير هيوب
ولو أننى لم أشف نفسى منهم
لكانت شجا فى القلب ذات ندوب

فنقض حسان ما قاله أبو سفيان واتبع معه طـريق المقابلة فى المعانى والصور التى ذكرها وأخـذ يعدد من قتل من أشراف قـريش

---

(١) ابن هشام ١٠٧/٣ •

فى بدر مقابلة لمن ذكرهم أبو سفيان ممن قتلوا من المسلمين فى أحد، فقـــال :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم
ولست لزور قتلـه بمصيب
أتعجب أن أقصـــدت حمزة منهم
نجيبــا وقــد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنــه
وشــيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العـــاصى عليا فراعه
بضربة عضب بله بخضيب(١)

وحينما افتخر هبيرة بن أبى وهب بالجموع الحاشدة التى جمعتها قريش من قبائل العرب لحرب المسلمين فى أحد وانتصار المشركين عليهم فى هذه الغزوة فقال :

سقنا كنانة من أطراف ذى يمن
عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت : كنـــانة : تذهبون بنا ؟
قلنا : النخيل فأموها ومن فيهـــا
نحن الفوارس يوم الحرمن أحد
هابت معد فقلنا نحن نأتيهـــا
ثمت رحنـــا كأنا عـــارض برد
وقام هام بنى النجار يبكيهـــا

فأجابه حسان بن ثابت سالكا طريق التهديد والوعيد فقال :

---

(١) الطبرى ٢/٥٢٣ .

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم
الى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية
فالنار موعدها ، والقتل لاقيها
جمعتموها أحابيشا بلا حسب
أئمة الكفر غرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيل الله اذ قتلت
أهل القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن
وجز ناصية كنا مواليها(١)

الى غير ذلك من النقائض وقصائد الهجاء التى تراشق بها المتحاربون من الجانبين : الاسلامى وغير الاسلامى .

وفى جميع قصائد الهجاء التى نظمها الشعراء المسلمون حاولوا الالتزام بتعاليم الاسلام قدر الطاقة فهم وان كانوا يدافعون عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أنفسهم بنفس سلاح المشركين من ذكر الألقاب والمثالب والسلوك الشخصى، الا أنهم ابتعدوا ما استطاعوا عن النيل من الأعراض والهجر فى القول والاقذاع الفاحش فى التعبير والبذىء من المعانى .

وذلك لأن الله تبارك وتعالى يقول فى القرآن الكريم : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما(٢) » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال فى الاسلام شيئا مقذاعا فلسانه هدر » ونهى صلى الله عليه وسلم عن رواية الشعر

---

(١) ابن هشام ٩٧/٣ ، ٩٨ ، ٩٩ .
(٢) سورة النساء الآية ١٤٨ .

المقذع فقال « من روى هجاء مقذعا فهو أحد الشاتمين » أى ان اثمة كاثم قائله(١) .

وحبس عثمان بن عفان رجلا يقال له : ضابىء بن حارث البرجمى هجا جدول بن نهشل فقال فيه :

وأمكم لا تتركوها وكلبكم · فان عقوق الوالدين كبير

وقال له : لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حى لأحسبنه نزل فيك قرآن ، وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك »(٢) .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخشى ويحذر من نوع من الهجاء ، وهو الهجاء الذى يعتمد فيه الشاعر على المفاضلة والمقارنة بين الرجلين أو بين الحيين ، فيوغر بذلك النفوس ، فيشتبك الرجلان ويتعارك الحيان ويحدث ما لا تحمد عقباه .

فذكر صاحب الأغانى : « أن عمر رضى الله عنه قال للحطيئة : « اياك وهجاء الناس . قال اذا يموت عيالى جوعا ، هذا مكسبى ومنه معاشى . قال : اياك والمقذع من القول . قال : وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقول : فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان . قال : فأنت والله أهجى منى . ثم قال : (أى عمر للحطيئة) لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك ، ولكن اذهب فأنت له وأطلقه » .

ويذكر صاحب الأغانى أيضا : « أن عمر رضى الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم . فقال الحطيئة :

---

(١) اللسان مادة (قذع) .
(٢) اصابة ٢٠٧/٢ .

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع
شــتما يضر ولا مديحا ينفــع
وحميتنى عرض اللئيم فلم يخف
ذمى وأصبح آمنا لا يفزع(١)

ومعنى هذا أن الشعراء المسلمين اذا كانوا حــاربوا المشركين بنفس أسلحتهم أو ما يقاربها وأضافوا اليها أسلحة جديدة • وهجاهم المسلمون بمعانى الكفر والضلال وحذروهم من العاقبة وسوء المنقلب•

فان الاسلام لم يطلق لهم العنان فى الهجاء والاقذاع فى القــول وانما وضع حدودا لهذا الهجاء وهذب من طريقة تناولهم لهذا الفن ، حفاظا على أعراض الناس والنيل من كرامتهم •

٤ ـ الفخــر والحماسة :

ما حدث من تعدد القبــائل وكثرتها فى الجــزيرة العربية ، وما تعارفوا عليه من نظام القبيلة فى حكمها وفى جميع جوانب حياتهــا اذ كان لكل قبيلة شيخ يحكمها ، وجميع من فيها من أفراد القبيــلة ينصاعون لكلمته وينضــوون تحت لوائه ، ثم ما كان من جدب الحياة وقفرهــا فى معظم أرض الجــزيرة العربية • اللهم الا فى بعضــها حيث كانت توجد المراعى ويوجد الماء فى الآبار • فكانت القبائل تجتمع حول المراعى والماء • ولما كانت المراعى لا تكفى لحاجة القبائل فكانت تحدث المعارك الطاحنة بين القبائل من أجل الكلأ والماء • وليس هذا فحسب بل ما طبعوا عليه من الأنفة والحمية والاعتزاز بأنفســهم •

---

(١) الأغانى ٢/٥٢ (طبعة ساسى) •

كل ذلك وغيره ، دفعهم للفخر بأنفسهم وبقبائلهم وكثرة عددهم وقوة رجالهم وأنهم أصحاب الغلبة والقوة دون غيرهم من الناس ، ويصـــل بهم الأمر الى المبالغة فى الفخر والمبـــاهاة بالنصرة والعـــزة والقوة ، وأنهم يحبون أن يكونوا ظـــالمين لا مظلومين ، بل أكثـــر من ذلك أن رضيعهم اذا بلغ الفطـــام خر له الجبـــابر ساجدين • وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم يفخر بنفسه وقبيلته :

وقد علم القبائل من معـــد	اذا قبب بأبطحها بنينـــا
بأن المطعمـــون اذا قـــدرنا	وأنا المهلكون اذا ابتلينـــا
وأنا المـــانعون لـــا أردنـــا	وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التـــاركون اذا سخطنا	وأنا الآخذون اذا رضينا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا	ويشرب غيرنا كدرا وطنيا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها	ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظـــالمين وما ظلمنـــا	ولكنـــا ســـنبدأ ظالمينـــا
اذا بلغ الرضيع لنا فطاما	تخر له الجبابر ساجدينا(١)

والناس فى عرف الجاهليين أحد رجلين : ظالم ومظلوم •

ولا يحب العربى فى الجاهلية أن يكون مظلوما ، فلابد أن يكون ظالما • على حد قول زهير بن أبى سلمى :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم(٢)

---

(١) شرح المعلقات السبع للزونى من ١٣٩ الى ١٦١ •
(٢) شرح المعلقات السبع ص ١٠٤ •

ولذلك لم يكونوا يتساءلون فى الحروب عن ظالم أو مظلوم وانما اذا دعاهم داعى الحـرب لبوا دون تفاهم أو رويـة على حد قـول قـائلهم :

قوم اذا الشر أبدى ناخذيه لهم   طاروا اليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حـين يندبهم   فى النائبات على ما قال برهانا

على هذا النحو كان الناس فى الجاهلية قد طبعوا • لكن حينمـا جاء الاسلام برسالته السمحة ودينه القـويم ، وجه طبائع العـرب وأخلاقهم الى الحق والصواب ، وتلمس الخـير والفضيلة وأصـبح العربى المسلم لا يفخر بعنجهيته ولا بعصـبيته وعنصريته ، وانمـا يفخر بأنه أعطى الحـق لأهله وأنه مع الحق أينمـا كان ولا يأنف من الاعتراف به لذويه • ولا يحب أن يكون ظالما أبدا لأن الاسلام الذى هو على دينه ليس كذلك •

واذا كان لابد له أن يفخر فانما هو يفخر بدينه الذى يـذيب الطبقات ويقضى على العصبية ويقول لهم : « انما الهكم اله واحد » ويقول لهم « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » •

ولذلك أثر عن شـاعر مسلم قـوله :

أبى الاسـلام لا أب لى سواه   اذا افتخروا بقيس أو تميم

أصبح المؤمن بدين الله لا يفخر باعلاء كلمة القبيلة ورفع شأنها ولا بكسب المغانم وسبى الأعداء ونهب متاعهم • وانما يفخر بأنه على الدين الحنيف ، وأنه يجاهد فى سبيل الله وأن الملائكة من جنـد الله تواكب جمع المسلمين وتؤيد خطواتهم وتحارب معهم ، وأن النصرة لله ولرسوله وللمؤمنين وأنه ليس بينه وبين الجنة الا أن يمـوت فى سـبيل الله شهيدا •

يقول فى ذلك كعب بن مالك :

ويوم بــدر لقيناكم لنــا مدد
فيه مع النصر ميكــال وجبريل
ان تقتلونا فدين الله فطرتنــا
والقتل فى الحق عند الله تفضيل(١)

أصبح الشاعر فى الاسلام يفخر بنعمة الله عليه وعلى المسلمين بأن هداهم للدين الحنيف وأسبغ عليهم نعمه فى الدنيا والآخرة . كما يقول النابغة الجعدى :

وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى
وقوارع تتــلى من القــرآن
ولبست الاســلام ثوابا واسعا
من سيب لا حرم ولا منان(٢)

ويقول فى ذلك أيضا العوام بن جهيل :

من مبلغ عنا شــآمى قومنــا
ومن حل بالأجواف سرا وجهرا
بأنا هدانا الله للحق بعدمــا
تهــود منا حائر وتنصرا(٣)

ولم يعد الشاعر يفخر بنصرة القبيلة وانما بانتصار الاســلام ، وبأنهم رجاله وقادته وحملة دعوته الى الناس أجمعين . حيث يقــول حســان بن ثابت :

---

(١) الديوان ٢٥٥ .
(٢) شعر النابغة ٢٠٧ .
(٣) الاصابة ٤١/١٣ .

الله أكرمنــــا بنصر نبيــه
وبنــا أقــام دعائم الاسلام
وبنــا أعــز نبيــه ووليــه
وأعزنا بالنصر والاقـــدام
نحن الخيار من البرية كلهــا
ونظــامها وزمــام كل زمام(١)

وبعــد أن كانت المعــارك والخصــومات والاحن بــين الأوس والخزرج لا تنقطع فى الجاهلية ، أصــبحوا بنعمة الله فى الاســلام اخوانا متحابين متعاونين على الجهــاد فى سبيل الله ونصرة دينــه ، وهم يفخرون بأنهم آووا رسول الله ورحبوا بقومه المهــاجرين حيث وســعتهم أموالهم وآثروهم على أنفســهم وفقا لقول الله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصــاصة » وفى ذلك يقــول النعمان بن العجــلان :

نصرنا وآوينا النبى ولم نخف
صروف الليالى والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا : مرحبا بكم
وأهلا وسلا قد أمنتم من الفقر
نقاســمكم أمــوالنا وديارنــا
كقسمة ايسار الجزور على الشطر
ونكفيكم الأمر الذى تكرهونه
وكنا أناسا نذهب العسر باليسر(٢)

ويعتبر الشاعر الاسلامى مبايعته أو مبايعة أحد من أهله لرسول

---

(١) ديوان حسان ١٤٣ .
(٢) الاستيعاب ٥٢١/٣ .

الله صلى الله عليه وسلم ومصافحة الرسول لهم وسام شرف يباهى به ويرفع صوته مفاخرا • ومن ذلك قول عبد الرحمن بن صفوان يفخر بمكانة أبيه ومنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :

وأنا ابن صفوان الذى سبقت له عند النبى سوابق الاسلام(١)

ويفخر بحر بن ضبع بمبايعة جده ومصافحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :

وجدى الذى عاطى الرسول يمينه وخبت اليه من بعيد رواحله(٢)

كما يفخر العباس بن عصيم بزيارة أبيه وعمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووفادتهما عليه ، وهذا شرف عظيم يحق للعباس أن يزهو به ويباهى الناس جميعا • فيقول :

عصيم أبى زار النبى محمدا
وعمى سواء قل هذا التفاخر
ولما دعا داع لدين محمد
وفدنا فمنا كان أيمن زائر(٣)

هكذا كان الشاعر المسلم يفخر بدينه ورسوله ويباهى بايمانه وتقواه وبما قدمه لدينه وأعلى أمانيه أن يموت شهيدا فى سبيل الله ونصرة دينه ، كما يفخر بأنه يعيش للحق وللخير والفضيلة • وأكثر ما كان الفخر بانتصار المسلمين على المشركين فى المعارك ، ومادة الفخر وموضوعاته كانت منتزعة فى أغلبها من أرض المعارك حيث كان الشعراء من الجانبين المتحاربين يعلى كل منهم صوته بمآثر قومه

---

(١) الاصابة ١٨٣/٢ •
(٢) أسد الغابة ١٦٦/١ •
(٣) اصابة ٤٧٦/٢ •

وقوة شكيمتهم ودفاعهم عن مبادئهم • وكما كان الصوت الأعلى دائما المنتصر ، فكان صوت المسلمين دائما هو الأعلى ، لأنهم فى انتصار دائم بمؤازرة الله وعونه لهم ، وحتى فى المعركة التى هزموا فيها وهى معركة أحد ، فكان المسلمون يفاخرون بصبرهم وجلدهم وبالشهادة التى هى قمة ما يتمنى المجاهد فى سبيل الله • وكانوا فى حماستهم وفخرهم لا يغالون فى تعبيراتهم كما كان يفعل الشعراء فى الجاهلية وانما هم يراعون الواقعية والصدق فى التعبير لأن دينهم يحضهم على الصدق فى كل شىء وعلى هذا كان فخرهم وكانت حماستهم •

٥ ـ الغــزل :

لم يكن غرض الغزل فى العصر الجاهلى لينفرد بقصيدة شعرية خاصة به ، وانما كان شأنه شأن الأغراض الشعرية الأخرى ، يكون أحد أغراض القصيدة وموضوعا من موضوعاتها الا أن الفرق بينه وبين غيره من الأغراض الشعرية الأخرى ، أن الحديث عن المرأة تعارف الشعراء الجاهليون فيما بينهم على أن يستهلوا به القصيدة اما على سبيل النسيب والتشبيب ، واما على سبيل الحديث عن الأطلال والديار والدمن •

ولم يكن كل شعر بدأه الشاعر بالغزل أو بالحديث عن الأطلال كان الشاعر فيه يجمع بين الصدق الفنى والصدق الواقعى •

فلما كان الاستهلال الغزلى تقليدا فيما بينهم أصبح الصدق الفنى لا يشترط الصدق الواقعى فليس من الضرورى أن يكون الشاعر عاشقا ولهانا يتغزل غزلا حقيقيا فى محبوبته ، ولكنه يبدأ كما يبدأ غيره بالغزل •

اللهم الا من كان منهم من الشعراء المتيمين كالمرقش الأكبر

والمرقش الأصغر وعنترة وغيرهم ، فان الشاعر منهم حين يتحدث فى شعره عن محبوبته فانما يصف ما يحسه فعلا نحوها • والعلاقة بين المحبين المتيمين كانت علاقة نظيفة طاهرة ، بخـلاف الغزل الصريح الذى كان الشاعر يتحدث فيه عن مفاتن المرأة ويصف جسدها وصفا حسـيا •

ولكن حين جاء الاسلام وانشغل الشعراء المجاهدون به وبقضية الايمان وبالمعارك والفتوحات الاسـلامية وحمى وطيس الهجـاء بين المسلمين وغير المسلمين من الشـعراء ، وبعـد أن وظف الشـعراء المسلمون فنهم وشعرهم لخدمة الدين ونشر الدعوة •

انشغلوا بذلك عن الغزل • وبعد أن كان الطابع العام على الشعر الجاهلى أن يبدأ بالغزل أو ذكر الديار والدمن أصبح الطـابع العام الغالب على الشعر الاسلامى ألا يبدأ بالغزل بل بمقدمات دينية وأحيانا لا تبدأ القصيدة بالغزل ولا بغيره من المقدمات وأيضا لا تتعدد فيها الأغراض والموضوعات الشعرية كما كانت فى الجاهلية •

وغالبا ما كان الشاعر يرتجل قصيدته وبخاصة فى معارك الهجاء والمساجلات الشعرية وفى المفاخرات والمنـافرات ، وفى حفز المقاتلين على الجهاد فى أثناء المعركة وفى التبـاهى والتفاخر بالانتصار بعـد المعركـة •

وفى مثل هذه الظروف لا يستطيع الشاعر أن يدبج مطلعا غزليا أو طلليا يستهل به القصيدة وهذا كله أضعف الغزل فى عصر صدر الاسلام ، وما وجد منه كان جافا لا روح فيه ولا عاطفة ، وانما هو تقليد فقط اسـتلهت به بعض القصـائد لا جميعها • وهذا ما يؤكده الأستاذ / حسان أبو رحاب • اذ أنه يرى أن غلبة الاسـلام على الناس جميعا فى عصر صدر الاسلام جعلت الناس ينشغلون به ، اما

معارضين له ، وهم المشركون الذين ينظمون القصـائد التى يحاربون بها الاسلام ورجاله ويصدون بها عن دين الله •

واما مؤيدين ، ينشـغلون بدراسة القرآن وفهمه والجهـاد فى سبيل الله من أجل رفعة الدين وظهوره ، وحتى يكون الدين كله لله •

ومن ثم ضعف الشعر بعامة وبالتالى ضعف الغزل ، أضف الى ذلك أن الاسـلام قد صـان المـرأة من العبث وحمـاها من تلاعب الشعراء بمفاتنها •

ثم يرى الأستاذ / حسان : أن الغزل لا يوجد الا حيث يوجـد الداعى اليه وهو الراحة والطمأنينة ، والرغبة من القارئين والسامعين ورضا الحاكم وتشجيعه •

وهذه كلها عوامل ودواع للغزل لم توجد فى عصر صدر الاسلام• واذا ما وجد من غزل فى صدر الاسلام فهو غزل صناعى لا يعـدو ذلك الى أنواع الغزل الأخرى يقول الأسـتاذ حسان أبو رحـاب : «ان شيئا واحدا غلب هذا العصر وطبعه بطابعه ذلك هو الدين الجديد : كتابه القرآن • ورسوله محمد الأمين » •

شغل العرب بهذه الدعوة وبهذا الدين •

شغلوا بها ، اما مؤيدين ، واما معارضين ، واتجهوا أو اتجه كثير منهم الى القرآن يدرسونه ويفهمونه ويشرحونه ، كما اتجه كثير منهم الى الخطابة يرتقون منابرها • شغلوا بما تتطلبه هذه الدعوة من جهود وجهاد ، ومن فتح القلوب والبلاد حتى يكون الدين كله لله •

ضعف جانب الشعر وبالتالى ضعف جانب الغزل فيه ، بل كان الغزل أكثر ضــعفا ، لأن الشعر فى بعض أغراضه الأخرى لا يـــزال قائما ، وان لم يكن بالكثرة التى وجدت من قبل ، ذلك أن الاســـلام يصـــون المرأة من العبث ، ويحمى المحصـــنات من أن تلـــوك سيرتهن الرجـــال •

ولعلك تعرف أن الغزل لا يقوم الا حيث تكون الدعة والراحـــة والطمأنينة ، والا حيث تكون الرغبة من جمهرة القارئين أو السامعين وحيث يكون رضا الحـــاكم وتشجيعه • وهذه العوامل لم تكن قائمة فى العصر الاسلامى الاول • ولهذا لم يخلص الينا من شعر الغـــزل فى هذه الفترة ما يصح أن نتحدث عنه • واذا قرأنا شيئا منه ، وان كان قليلا فهو من الغزل الصناعى لا يعدوه الى الأنواع الأخرى(١) •

وبينما يرى الأستاذ حسان أبو رحاب أن الغزل ضعف فى صـــدر الاســـلام تبعا لضعف الشعر الذى انشـــغل عنه العرب ، اما بالدعوة والجهاد فى سبيل الله ، وأما بالتعرض للدعوة والصد عن سبيل الله، وأن الغزل قد ضعف لعدم وجود العوامل الداعية اليه •

بينما يرى ذلك • نجد الدكتور مصطفى عبد الواحد يرى رؤيـــا أخـــرى •

---

(١) الغزل عند العرب : ١٩٥ ، ١٩٦ •

فهو يرى : أن عاطفة الشاعر نحو المرأة لم تتغير بمجرد ظهور الاسلام واذعان العرب له • وانما ظلت العاطفة قوية مشبوبة وظل الشاعر العربى يتغزل فى المرأة كما كان فى الجاهلية • كل ما فى الأمر أن الاســلام نهى عن الفحش فى القول والتصريح بالفجور فى ذكر الشاعر لمفاتن المرأة والاشادة بالفسق •• وما الى ذلك مما كان يصنعه شعراء الجاهلية فى غزلهم •

يقول الدكتور مصطفى فى ذلك : « لم تتغير نظرة الشعر العربى الى العاطفة نحو المرأة بمجرد ظهور الاسلام ، واذعان العــرب له ودخولهم فيه أفواجا • فقد كان لابد أن يمضى زمن تعمل فيه القيــم الاسلامية عملها فى تبديل المثل الجاهلية وصنع الوجدان الاســلامى الذى يصدر عن مبادىء الاسلام ويتسق مع نظرته الى الكون والحياة•

ولهذا كان الغزل فى الشعر العربى فى صدر الاســلام يجرى فى الحديث عن المرأة على المعهود فى الشعر الجاهلى ، وكل ما طرأ عليه فى صدر الاسلام أن زايله الفحش وتحرج الشعراء من التصريح بالفجور أو الاشادة بالفسق على نحو ما كان يصنع شــعراء الجاهلية فبقيت نظرة الشعر فى صدر الاسلام الى المرأة هى النظرة الحسية نفسهـا التى تحفل بالمفاتن وتصف ما يملح للعين »(١) •

---

(١) دراسة الحب فى الأدب العربى ٢٣ •

ويتحدث الدكتور مصطفى عن نجاح الاسلام فى تحويل أنظـار العرب عن الخطايا والآثام ، وعن نجاحه كذلك فيما وضعه من نظـم وحدود سدت أبواب الفتنة وأقامت صرح الفضـيلة والاسـتقامة . فقال : « وحسب الاسلام فى هذه الفترة الأولى من تاريخه أنه أفلح فى تحويل أنظار العرب عن الفحش والخنـا وزجرهم عن الخطـايا والآثام تطهيرا لأنفسهم وتزكية لأخلاقهم ... كما قال الله سبحانه : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون »(١) ، وقال تعالى : « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ... »(٢) .

الى جانب ما شرعه الاسلام من نظم وحدود أقام بها الضـوابط والزواجر فى المجتمع الاسلامى ، سدا لأبواب الفتنة ، واقامة لصرح الاستقامة والفضيلة ، وقد كان لتلك التعاليم أثرها فى تطهير المجتمـع العربى الذى ألف التحلل والفاحشة فى الجاهلية فاستقام المسـلمون على أمر الله واختفى من المجتمع العربى صوت الاثم وداعيه المنكر . وساعد على ذلك ما اشتغل به المسلمون من الدفاع عن كيانهم والجهاد فى سبيل الله فى مواقع متصلة لم تكن تـدع للدعة والاطمئنـان الى الشـهوات سبيلا .

ولكن التعبير الفنى عن النظرة الى المرأة لم يطرأ عليه تغيير ولم يهتد الشعراء الى ادراك جديد فى تلك الفترة من صدر الاسلام(٣) .

---

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ٣٣ .
(٣) دراسة الحب فى الأدب العربى ٢٤ ، ٢٥ .

هذا ما قرره الدكتور مصطفى عبد الواحد فى قضـية الغـزل فى شعر صدر الاسلام • وهو لا يختلف عن رأى الأستاذ حسان ولا عن غيره ممن كتبوا عن الغزل فى هذا العصر • كل ما فى الأمر أن الأستاذ حسان نظر الى الغزل من حيث انشغال العرب عنه بالقرآن وبالجهـاد فى سبيل الله ، وأن دواعى الغزل وعوامله لم تتوافر لوجوده فى هذه الفترة من الزمن ، ومن ثم ضعف الغزل وضعفت النظرة اليه •

أما الدكتور مصطفى فقد نظر الى الغزل نظرة تاريخية ثم نظرة فنيـــة •

فهو نظر الى الغزل فى أول ظهـور الاسلام ، وربط بينه وبـين الغزل فى العصر الجاهلى ، مع أنه معروف أن القيم والمفاهيم لم تتغير فى يوم وليلة ، ولكن لابد من وقت طويل تتمكن فيه العقيدة من نفوس المؤمنين بالدين الاســلامى ، حتى يســتقيموا على الطريقــة والمنهج الجديد • وتتغير تبعا لذلك نفوسهم ونظرتهم للحياة والتعبير عنهــا •

وبالاضافة الى أن حدود الاســلام وفرائضه قد ســدت أبواب الفتنة عليهم ، وصانت المرأة من أن تلوكها الألسنة بفحش أوخنا •

وأكثر ما وجد من غــزل صدر الاسلام فى مطالع القصائد ، هو غزل تقليدى ألفه الشعراء فى العصر الجاهلى ، ودرج عليه الشــعراء فى صدر الاسلام ، وفى العصور الشعرية التالية له •

ومن ذلك ما قاله حسان بن ثابت فى مطلع قصيدته الهمزية التى هجا فيها أبا سفيان بن الحارث فقال :

عفت ذات الأصابع فالجواء
الى عذراء منزلهـا خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر
تعفيها الروامس والسـماء
وكانت لا يزال بهـا أنيس
خـلال مروجها نعم وشـاء
فدع هذا ولكن ما لطيف
يؤرقنى اذا ذهب العشـاء
لشـعثاء التى قـد تيمتـه
فليس لقلبـه منها شفاء(١)

وينظم حسان قصائد كثيرة فى غزوة بدر فيفتتح بعضها بالغزل كما هو الحال فى قصيدته الميمية التى يستهلها بقوله :

تبلت فؤادك فى المنـام خريدة
تسـقى الضجيع ببارد بسام
كالمسك تخلطـه بماء سحابة
أو عـاتق كدم الذبيح مـدام
نفخ الحقيبة بوصـها متنضـد
بلهـاء غير وشيكة الأقسـام
بنيت عـلى قطن أجم كأنه
فضلا اذا قعدت مداك رخـام

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ٧١ .

وتكاد تكسل أن تجىء فراشها
في جسم خرعبة وحسن قوام
أما النهار فلا أفتر ذكرها
والليل توزعنى بها أحلامى
أقسمت أنساها وأترك ذكرها
حتى تغيب فى الضريح عظامى(١)

ومن هذا النوع من الغزل التقليدى الذى تفتتح به القصائد الشعرية ، مطلع قصيدة كعب بن زهير التى أنشدها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مادحا اياه ومعتذرا عما بدا منه من سوء للاسلام والمسلمين • فقال فى استهلاله لهذه القصيدة :

بانت سعاد فقلبى اليوم مبتول
متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة
لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت
كأنه منهل بالراح معلول(٢)

وظل ينشد أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلعة الغزلى الذى يبلغ خمسة وثلاثين بيتا من جملة القصيدة التى تبلغ كلها ثمانية وخمسين بيتا •

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٢ •
(٢) سيرة ابن هشام ٤/٣٧٥ •

الى غير ذلك من المطالع الغزلية التى استهلت بها القصائد الشعرية فى عصر صدر الاسلام•وهى وان جنحت الى الصراحة أحيانا فى ذكر بعض مفاتن المرأة ، الا أن ذلك من باب التقليد لافتتاحيات القصائد فى العصر الجاهلى ولا أكثر من ذلك •

٦ ـ الاعتذار :

من الفنون الشعرية التى جدت مع الاسلام فن الاعتذار عما سلف ، وتأكيد العزم على التوبة والانابة ، والندم على ما فرط الشاعر فى جنب الله ورسوله •

وحينما نستعرض ما وصلنا من شعر صدر الاسلام نجد من بينه شعرا كثيرا لشعراء آمنوا بعد كفر ، ورقت قلوبهم بعد غلظة ، وعادوا الى رشدهم وصوابهم ، بعد غى وضلال •

هؤلاء هم الشعراء الذين وقفوا من الاسلام ورسوله ورجاله موقفا معاديا حيث أوقفوا أنفسهم على هجاء الاسلام ورسوله والمؤمنين ، فى كل مكان وزمان ، وكلما التقى الجمعان •

ومن هؤلاء الشعراء : عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث وأنس بن زنيم وأسيد بن أبى اياس ، وكعب بن زهير ••• وغيرهم كثيرون ممن نظموا شعرا بعد اسلامهم اعترفوا فيه بخطئهم وندموا فيه على معصيتهم •

ومن ذلك قول ابن الزبعرى فى شعره الذى اعترف فيه بخطئه وضلاله ، ملتمسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقبل معذرته حيث يقول :

منع الرقاد بلابل وهموم
والليل معتلج الرواق بهيم

ممـا أتانى أن أحمـد لامنى
فيـه فبت كأننى محمـوم
يا خير من حملت على أوصالها
عيرانـة سرح اليدين غشوم
انى لمعتـذر اليك من التى
أسديت اذ أنا فى الضلال أهيم
أيـام تأمرنى بأغوى خطـة
سهم ، وتأمرنى بهـا مخزوم
وأمد أسـباب الهوى ويقـودنى
أمر الغواة وأمرهم مشـئوم
فاليوم آمن بالنبى محمـد
قلبى ومخطىء هذه محروم(١)

وهذا أنس بن زنيم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ويعتذر اليه بعد موقفه المعادى منه لسنوات طويلة • فقد نظم قصيدة قال منها :

وما حملت من ناقة فوق راحلها
أبر وأوفى ذمـة من محمد(٢)

وهذا أبو سفيان بن الحارث الذى نظم أشعارا كثيرة يأسى فيها على ما فرط فى جنب الله ورسوله ، ويلتمس من رسول الله صـلى الله عليه وسلم العفو وقبول المعذرة • ومن ذلك قوله :

لعمـرك انى يوم أحمـل راية
لتغلب خيل اللات خيـل محمد

---

(١) استيعاب ٣٥٦/١ •
(٢) الاصابة لابن حجر ٦٩/١ •

لكالمدلج الحـيران أظلم ليله
فهذا أوان حين أهدى وأهتدى(١)

على أن كعب بن زهير أشهر من قدم اعتذارا أمام النبى صـلى الله عليه وسلم وقبله النبى منشرحا مسرورا •

وذلك أن كعب بن زهير كان قد هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونال ، منه ، فأهدر النبى دمـه • فلما علم بذلك أخوه بجـير وكان مسلما قوى الايمان ، أخذته عاطفة الأخوة وكتب اليه عله يثوب الى رشده ويعود الى صوابه ، وقال له :

« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ••• فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الأرض » •

وكان كعب بن زهير قد قال :

ألا أبلغا عنى بجـيرا رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا ؟
فبين لنا ان كنت لست بفـاعل
عـلى أى شىء غير ذلك دلكـا
على خلـق لم ألف يوما أباله
عليه وما تلف عليـه أبا لكـا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل اما عثرت : لعالكا

---

(١) طبقات الشعراء ٢٠٦ •

سقاك بها المـأمون كأساروية
فأنهلك المـأمون منها وعلكا

يقول ابن اسحاق : وبعث بها — أى بالأبيات — الى بجير ، فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده اياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم لما سمع « سقاك بهـا المـأمون » : صدق وانه لكذوب ، أنا المأمون • ولما سمع : « على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه « قال : أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه » •

ثم أرسل بجير الى كعب كتابا يتضمن هذه الأبيات :

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى
تلوم عليها باطلا وهى أحـزم
الى الله (لاالعزىولا اللات)وحده
فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه
ودين أبى سـلمى على محرم

فلما بلغ كعبا كتاب بجير ضاقت به الأرض ، ولم يجد بدا من أن يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبا معتذرا • فنظم قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم • وذكر فيها خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة •

وبعد أن صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، دخـل عليه المسجد وجلس اليه • فوضع يده فى يده • وكان رسـول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله : ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك

به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ثم أنشد قائلا :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم اثرها لم يفـد مكبـول

وظل ينشد رسول الله مطلعه الغزلى الى أن قال :

نبئت أن رسـول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة ال
ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم
أذنب ولو كثرت فى الأقاويل

الى آخر القصـيدة :

والقصيدة وان بدأت بمطلع غزلى طويل الا أنه مطلع تقلـيدى على غرار القصيدة من الشعر الجاهلى •

وهى قصيدة كلها مدح واعتذار للنبى صلى الله عليه وسلم على ما فرط فى جنبه ملتمسا العفو من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وبلغ من سرور النبى صلى الله عليه وسلم واعجـابه به وبشعره وشعوره وبتوبته الصـادقة « أن ألقى عليه بردته فاشتراها منه — فيما بعد — معاوية بثلاثين ألف درهم ، وهى التى يتوارثها الخلفـاء يلبسونها فى الجمع والأعياد تبركا بها »(١) •

---

(١) العمدة ١/١٨ •

٧ ـ شعر الفتـــوح :

ظل النبى صلى الله عليه وسلم منـــذ مبعثه فى مكة لم يؤذن له بقتال ولم يؤمر بجهاد أعداء الله الى أن هاجر الى المدينة المنـــورة ، وفى العام الثانى من الهجرة النبوية الشريفة أنزل الله تعـــالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ••• »(١) •

ثم حرض الله المؤمنين على القتـــال بقوله تعالى : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى ســـبيل الله فيقتـــل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظما » وطمأنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المسلم فى الجهاد اما أن ينصره الله واما أن يستشهد فى ســـبيل الله • فقـــال لهم : « ان الله وعدنى احـــدى الحسنيين : اما النصر واما الشهادة » •

فمن يموت عـــلى أرض المعركة من المســـلمين أو بسبب القتـــال لا يسمى (قتيلا) وانما يسمى شهيدا • والشهداء عند ربهم يرزقون، لا يموتون كما يموت غير الشـــهداء وانما هم فى جوار ربهم ينعمون ويكرمون ، بما أعده الله لهم فى جنته من نعيم مقيم • وعرف المسلمون ذلك ، وحرضهم القرآن بعشرات الآيات على الجهاد فى سبيل الله ، كما حرضهم الرسول صلى الله عليه وســـلم بعشرات الأحـــاديث •

---

(١) الحج الآية : ٣٩ ، ٤٠ •

فباعوا أنفسهم لله ، والله قد اشترى منهم : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .. »(١) .

فاندفع المسلمون فى أنحاء الأرض مجاهدين فاتحين محررين الناس من رق الكفر وعبودية الضلال . انطلقوا يبلغون عن الله ورسوله وينشرون تعاليم الله ويعلون كلمته ، يدافعون عن الحق ولا يخشون فى الله لومة لائم .

استجاب أصحاب رسول الله لداعى الجهاد ونداء الحق والشرف وكل منهم يحمل بين جنبيه هدفا نبيلا يسعى من أجله ويتحمل المصاعب فى سبيله ، وهو النصر لاعلاء كلمة الله ، أو الشهادة فى سبيل الله . وقد عبر المغيرة بن شعبة حين التقى برستم قائد الفرس عن ذلك مفاضلا بين ما يحدث لهم وما يحدث لجند الفرس فقال له « يدخل من يقتل منا الجنة ، ومن يقتل منكم النار ، ويظهر من بقى منا على من بقى منكم »(٢) .

وعلت أصوات الشعراء المسلين بشعر فيه حماسة وفيه اثارة لحمية المسلمين للذود عن حياضهم والدفاع عن دينهم ، وفيه تمن للشهادة واستقتال من أجلها أو من أجل النصر والرفعة . وطاب لكل منهم أن يرضى ربه بالجهاد فى سبيله وتقديم أعز ما يملك له فداء وتضحية . ومن ذلك أن الخنساء الشاعرة المشهورة قد حضرت مع بنيها الأربعة حرب القادسية . وجلست ليلتها تنصحهم وتحرضهم

---

(١) التوبة الآية : ١١١ .
(٢) الطبرى ٨٣/٤ .

على الاقدام والشجاعة ، وهى بذلك بقدمهم قربى الى الله جاء رحمته ورضوانه • فلما أصبح الصباح نزلوا ساحة القتال ، وأنشد أولهم يقول :

يا اخوتى ان العجوز الناصحة
قد نصحتنا اذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة
فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وانما تلقون عند الصائحة
من آل ساسان الكلاب النابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة
وأنتم بين حياة صالحة
أو ميتة تورث غنما رابحة

وتقدم فقاتل حتى استشهد • ثم حمل الثانى وهو يقول :

ان العجوز ذات حزم وجلد
والنظر الأوفق والرأى السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة فى العدد
اما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الأبد
فى جنة الفردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الثالث ، وهو يقول :

والله لا نعطى العجوز حرفا
فقد أمرتنا حربا وعطفا

نصحا وبرا صادقا ولطفـا

فبادروا الحرب الضروس زحفا

حتى تلفوا آل كسرى لفـا

أو يكشفوكم عن حماكم كشفا

انا نرى التقصير عنكم ضعفا

والقتـل فيكم نجدة وزلفى

فقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الرابع وهو يقول :

لست لخنساء ولا للأخـرم

ولا لعمرو ذى السناء الأقدم

ان لم أرد فى الجيش جيش الأعجم

ماض على الهول خضم خضرم

اما لفوز عـاجل ومغنم

أو لوفاء فى السـبيل الأكـرم

فقاتل حتى استشهد ، فبلغ أمهم الخنساء الخبر فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجـو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمتـه(١) .

وهذا عبد الله بن رواحة أحد المجاهدين فى الله والمدافعين عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم بسيفه وشعره ، يتوجه لغزو الروم فى مؤتـة فيودعه أصـحابه قـائلين : نسأل الله أن يـردك سالما ، فيجيبهم بقـوله :

لكننى أسـأل الرحمن مغفرة

وضربة ذات فرغ تنضح الزبدا

أو طعنة بيدى حران مجهزة

بحربة تنفذ الاحشاء والكبـدا

---

(١) الاستيعاب ٤/٢٨٩ .

حتى يقولوا اذا مروا على جدثى
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا (١)

ولم يتوان المجاهدون فى سبيل الله وهم فى ساحات القتال عن ذكر الله تعالى ، واستمداد العون منه ، والتوكل عليه والتوجه اليه واستمرار طاعته والتضرع اليه ملتمسين منه تعالى النصر أو الشهادة .

ومن ذلك ما قاله خالد بن الوليد قائد المسلمين فى فتح دمشق حيث حمل الراية وتوجه نحو الروم يحمل عليهم وهو يقول :

لك الحمد مولاى على كل نعمة
وشكرا لما أوليت من سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة
وأنقذتنا من حندس الظلم والظلم
وأكرمتنا بالهاشمى محمد
وكشفت عنا ما نلاقى من الغمم
فتمم اله العرش ما قد نرومه
وعجل لأهل الشرك بالبؤس والنقم (٢)

وهذا ضرار بن الأزور يدخل أيضا هذه المعركة — أعنى حرب الروم وفتح دمشق — وهو يتضرع الى الله تعالى أن يغفر ذنبه ويوفقه الى خير العمل ، وأن يمحو عنه كل الذلل ، فيقول :

عليك ربى فى الأمور المتكل
اغفر ذنوبى ان دنا منى الأجل
يا رب وفقنى الى خير العمل
وعنى أمح سيدى كل الزلل

---

(١) ربيع الأبرار ٣٣٢/٣ ، والحران : العطشان لا الى الماء ولكن إلى الدماء .

(٢) فتوح الشام ٢٠٩/١ .

أنا ضرار الفارسى القرم البطل
باغ على الأعداء أضحى المتصل
اقمع بسيفى الروم حتى تضمحل
مالى سواك فى الأمور من أمل(١)

والشاعر المجاهد لم تقف قريحته عند وصف المعارك وتحريض المجاهدين على القتال والاستبسال فى الحرب والقاء القصائد الحماسية ، وانما وصفوا فى شعرهم ما وقعت عليه أعينهم من مشاهد فى البلاد المفتوحة التى لا عهد للعرب بها من قبل • وصوروا ما رأوه من مناظر ومعالم تصويرا دقيقا رائعا ، أضافوا به الى ما ألفته أذواقهم وما صورته قرائحهم فى جزيرتهم معانى وصورا جديدة • ومن هذه المشاهد التى صوروها فى شعرهم ووصفوها فى نظمهم : الفيلة ، والقصور الشاهقة والقلاع الحصينة ، والكنائس التى زينها الرومان بالزخارف والنقوش • وغير ذلك مما شاهدوه وصوروه فى شعرهم • يقول ربيعة بن مقروم متحدثا عن قصور الملوك وأبنيتهم، وعن معركة الفيلة التى لم يشهدها من قبل :

ودخلت أبنيــة الملوك عليهم
ولشر قول المرء ما لم يفعــل
وشهدت معركة الفيول وحولها
أبناء فارس بيضها كالأعبل(٢)

ويتحدث القعقاع بن عمــرو عن الفيل الذى قطع مشفره وفقأ عينه فى معركة القادسية مشبها الفيلة ذوات الأجسام الضخمة بالبيوت فيقــول :

---

(١) فتوح الشام ١٦٠/٢ أضحى المتصل : ظاهر الانتساب •
(٢) الحيوان ٢٦٣/١٠ ــ الأعبل : حجارة بيض •

فان كنت قاتلت العدو فللته
فانى لألقى فى الحروب الدواهيا
فيولا أراها كالبيوت مغيرة
أسمل أعيـانا لها ومآقيا(١)

وهذا عاصم بن عمرو التميمى يذهب مع المجاهدين الى الحـيرة من أرض العراق فيرى قصورها المرتفعة ومشاهدها التى لم يرها من قبل فيصفها فى شعره حيث يقول :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا
ورجـلا فوق أثباج الركاب
حضرنا فى نواحيها قصـورا
مشرعـة كأضراس الكلاب(٢)

ومعروف أن المجاهدين فى عهـد الفتوح والحروب الاسـلامية الأولى كان الشاعر يقضى فترة طويلة لا يرى أهله وأولاده فيها ، وقد تبلغ هذه الفترة عام أو بعض عام ، والشـاعر فى هذه الفترة يتشرف ويتشوق الى أهله ووطنه ويحن الى مراتع طفـولته وملاعب صـباه، وهذا كله يحرك فيه لواعج الحنين وأحاسيس الشوق فيرسل زفراتـه فى شعر مفعم بالعواطف الرقيقة الشجية والمشاعر الصادقة .

فهذا أحد الشعراء المجاهدين يرسل دموعه وزفراته الحـارة ، معبرا عن شوقه وحنينه الى أرضه نجد فيقول :

أكرر طرفى نحو نجد واننى
برغمى وان لم يدرك الطرف أنظر

---

(١) الطبرى ٥٥٧/٣ .
(٢) معجم البلدان ٣٢٨/٢ .

حنينا الى أرض كأن ترابها
اذا أمطرت عود مسك وعنبر
بلاد كأن الأقحوان بروضه
ونور الأقاحى وشى برد محبر
أحن الى أرض الحجاز وحاجتى
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظرى من نحو نجد بنافع
أجل — لا — ولكنى الىذلك أنظر
أفى كل يوم نظرة ثم عبرة
لعينيك مجرى مائها يتحدر
متى يستريح القلب اما مجاور
بحرب واما نازح يتذكر(١)

وتحمل لنا أشعار الفتوحات الاسلامية مشاعر عظيمة ومواقف انسانية رائعة يستجيب فيها ولاة الأمور لنداءات المكلومين من الناس .

ومن ذلك أن المخبل السعدى تطوع ابنه الوحيد فى جيش سعد ابن أبى وقاص المتجه الى بلاد فارس فقال المخبل :

أيملكنى شيبان فى كل ليلة
لقلبى من خوف الفراق وجيب
ويخبرنى شيبان ان لم يعقنى
تعق اذا فارقتنى وتحوب

ويقول فيها :

---

(١) معجم البلدان ٧٤٧/٤ .

فان يك غصنى أصبح‌اليوم باليا
وغصنك من ماء الشباب رطيب
اذا قال صحبى ياربيع ألا ترى؟
أرى الشخص‌كالشخصين وهوقريب
أشيبان ما يدرك أن كل ليلة
غبقتك فيهـا والغبوق حبيب

وكان المخبل قد أسن وضعف ، وكان يغلب على عقله ، فعمد الى ماله لبيعه ويلحق بابنه فمنعه علقمة بن هودة وأعطاه فرسا وقال له : أنا أكلم لك عمر فى رد ابنك ، وتوجه الى عمر ، وأنشده أبيات المخبل فرق له عمر ، وكتب الى سعد يأمره أن يرد شيبان الى أبيه فـرده عليه ولم يزل عنده حتى مات »(١) .

ويذكر صاحب الاصابة أن كلاب بن أمية بن الأسكر قد هاجر الى المدينة فى خلافة عمر ، وأقام بها مدة ، ثم لقى طلحة والزبير فسألهما أى الأعمال أفضل ؟ فقالا له : الجهاد فى سبيل الله ، فتوجـه الى الخليفة عمر وسأله أن يرسله للغزو فى سبيل الله ، فأرسله عمر للغزو وكان أبوه قد كبر سنه وضعف بدنه . فلما طالت عليه غيبة كلاب قال وكان شـاعرا :

لمن شيخان قد نشدا كلابا
كتاب الله ان حفظ الكتـابا
اذا هتفت حمـامة بطن وج
على بيضاتها ذكـرا كلابا
وانك والتماس الأجر بعـدى
كباغى الماء يتبع السرابـا

---

(١) الأغانى ١٣/١٩٠ . والاصابة ٢/١٦٤ .

تركت أباك مرعشـة يـداه
وأمك ما تسـيغ لها شرابـا

وأكثر من أشعاره الباكية التى يتشوق فيها الى ابنه حتى بـلغ شعره عمر ، فكتب الى سعد يأمره باقفال كلاب ، فلما قدم ، أرسـل عمر الى أمية فقال له : أى شىء أحب اليك ؟ قال : أنظر الى ابنى كلاب • فدعاه له ، فلما رآه اعتنقـه وبكى بكاء شديدا ، فبكى عمر ، وقال يا كلاب الزم أباك وأمك ما بقيا »(١) •

وهكذا كان شعر الفتوحات الاسلامية تعبيرا عن مشاعر المجاهدين واثارة لحميتهم وتصويرا لأحـاسيسهم ووصفا لما شاهده الشـعراء وما وقعت عليه أنظارهم ، كما أنه يتضمن حنينهم الى مواطن الذكريات ومرابع الصبا • وفوق هذا كله فهو مشرب بروح ايمانية ويصدر عن قلوب تعمق فيها الايمان •

٨ ــ الشعر التـاريخى :

لكل أمة فى كل زمان سـجل عام يدونون فيه تاريخهم وأعمالهم وأحداثهم وأيامهم ومآثرهم وكل ما يتصـل بحياتهم • وهذا ما كان بالنسبة للعرب قديما كما كان لغيرهم من الأمـم • الا أن الفرق بين العـرب وبين غـيرهم • أن الأمم الأخـرى تعتمـد فى تأريخهـا على كتاب تسجل فيه مايحدث لها على سبيل السرد التاريخى أماالعرب فكتابهم هو شعرهم الذى لم يكن لهم علم أصح منه كما قال عمر بن الخطاب • ولو ضاع كل شعرهم ــ وقد ضاع منه الكثير ــ لضـاعت بضياعه الحقائق وانطمست مناقب الرجال ومفـاخرهم • وقد قيل :

(١) الاصابة ٧٨/١ •

« لولا الشعر ما عرف جود حاتم ، وكعب بن مامه ، وهرم بن ســنان وأولاد جفنة ، وانما أشاد بذكرهم الشعر »(١) •

فالشعر اذن هو : « الكتاب الجامع لتأريخ العرب ، والمسـجل لكل أحداثهم والشاهد العدل على كل تصرفاتهم،يحفظونه فى صدورهم ويروونه عن أسلافهم الى أبنائهم • ولذلك قالوا : لما رأت العرب المنثور يند عليهم ، وينفلت من أيديهم ، ولم يكن لهم كتــاب يتضمن أفعالهم ، تدبروا الأوزان والأعاريض ، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء ، فجاءهم مستويا ورأوه باقيا عــلى مر الأيام فألفوا ذلك وسموه الشــعر »(٢) •

واذا كان التاريخ العام المدون فى كتاب يسجله المؤرخون مراعين فيه الدقة وسرد الأحداث والتأريخ لها بالأرقام بصورة دقيقة ويعتمد على التفصيل والوقوف عــند الجزئيات • وهو بذلك عــلم أكثر منه مشاعر وأحاسيس • فان الشعر سجل للتاريخ يمزج فيه الشاعر بين الأحداث وبين مشاعره ومشاعر الآخرين ازاء هذه الأحداث •

ومن هنا كان الشعر الاســلامى مصوراً ومسجلا لكل ما حــدث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، فكان الشعراء بمثابة الصحفيين الذين ينهضون بكاميراتهم وأقلامهم لتغطية الأحداث فى كل موقع •

فلم يكن هناك من شاردة ولا واردة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه من بعده الا وسجلها الشعراء ونظموا فيها شعرا وحفظت على مر السنين بحفظ كتب التاريخ والسير لها ••

---

(١) الممتع فى علم الشعر وعمله ٢٤ •

(٢) الشعر والاسلام ١٧٣ •

ومن هذا الشعر الذى أرخ لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم قصيدة الشاعر الاسلامى صرمة بن قيس الأنصارى التى يقول فيها :

ويعرض فى أهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه
فأصبح مسرورا بطيبة راضيا
والفى صديقا وأطمأنت به النوى
وكان له عونا من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه
وما قال موسى اذ أجاب المناديا
فأصبح لايخشى من الناس واحدا
قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من حل مللنا
وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم أن الله لا شيء غيره
ونعلم أن الله أفضل هاديا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم
جميعا وان كان الحبيب المصافيا(١)

••••••• الى آخر القصيدة •

وهذا حسان بن ثابت فى محاولة منه لاستقصاء غزوات النبى صلى الله عليه وسلم وبث مشاعره نحوها مفاخرا بقومه الأنصار الذين حضروا هذه الغزوات ونصروا رسول الله فيها • فيقول :

---

(١) ابن هشام ٥١٢/١ •

ألست خير معد كلها نفـرا
ومعشرا ان هم عموا وان حصلوا
قوم هم شهدوا بدرا بأجمعهم
مع الرسول فما آلوا وما خذلوا
وبايعوه فلم ينكث به أحـد
منهم ولم يك فى ايمانهم دخل
ويوم صبحهم فى الشعب من أحد
ضرب رصين كحر النار مشتعل
ويوم ذى قرد يوم استثار بهم
على الجياد فما خاموا ولا نكلوا
وذا العشيرة جاسـوها بخيلهم
مع الرسول عليه البيض والأسل
ويوم ودان أجلوا أهله رقصا
بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل
وغزوة يوم نجـد ثم كان لهم
مع الرسول بها الأسلاب والنفل
وليلـة بحنين جالدوا معـه
فيهـا يعلهم بالحرب اذ نهلوا
وغزوة القاع فرقنا العـدو به
كما تفرق دون المشرب الرسل
وغزوة الفتح كانوا فى سريته
مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويوم سار رسول الله محتسبا
الى تبوك وهم راياته الأول(١)

---

(١) ديوان حسان ٣٩٤ .

ولم تكن هناك غزوة أو حادثة أو أمر ذو بال الا وسجلها الشعراء نبضا يتلى على مر الزمان، ويظل الشعر يواكب ركب الرسول صـــلى الله عليه وســـلم الى أن انتقل الى جـــوار ربه فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة مضت من ربيع الأول سنة عشرة من الهجرة النبوية • فيقـــع خبر وفاته صلى الله عليه وسلم على أصحابه والمسلمين جميعا فى كل مكان كالصاعقة ، ويعلوا البكاء ويزداد النحيب وتضج المدينة بالنشيج وترتفع أصوات الشعراء عالية معبرة عن لوعة المسلمين وحرقة أفئدتهم باكين مصابهم الجلل • ومؤرخين لهذا الحادث الأليم ، ومن ذلك قول حســـان بن ثابت »(٢) •

تهيل عليـــه التراب أيد وأعين
عليه وقد غارت بذلك أســـعد
لقد غيبوا حلمـــا وعلما ورحمة
عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكى السماوات يومه
ومن قد بكته الأرض فالناس كمد
فبينـــاهم فى ذلك النور اذ غدا
الى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محمودا الى الله راجعا
يبكيه حتى المرسلات ويحمد (١)
وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها
لغيبة ما كانت من الوحى تعهد

(١) ديوان حسان ٣٧٨ ، المرسلات : يريد هنا الملائكة •

قفارا سوى معمورة اللحد ضافها
فقيد يبكيه بلاط وغرقد(١)
ومسجده فالموحشات لفقده
خلاء فيه مقام ومقعد

وبعد أن انتهى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من تجهيز رفاته ونقله الى مثواه الأخير ، اجتمع المسلمون فى سقيفة بنى ساعدة ليقرروا فيما بينهم من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلت الأصوات وكادت الفتنة أن تطل برأسها لولا أن جمع الله القلوب على أمر أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه •

ولم يترك الشعراء هذه الحادثة تمرمر الكرام ، ولكن أدلى كل منهم بدلوه فيها ، وتحدث كل شاعر عن حق قومه فيها • ومن ذلك ما قاله حسان بن ثابت معبرا عن رأى الأنصار واستحقاقهم الخلافة فقال :

تنادى سهيل وابن حرب وحارث
وعكرمة الشانى لنا ابن أبى جهل
قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه
فأصبح بالبطحا أذل من النعل
أولئك رهط من قريش تبايعوا
على خطة ليست من الخطط الفضل
وأعجب منهم قابلوا ذاك منهم
كأنا اشتملنا من قريش على ذحل

---

(١) ضافها : نزل بها ، وبلاط : مستو من الارض ، والغرقد : الشجر •

وكلهم ثـــان عن الحـــق عطفه
يقول اقتلوا الأنصار بئس من فعل
فكان جزاء الفضـــل منا عليهم
جهالتهم حمقا وما ذاك بالعدل(١)

ولما بلغ شعر حسان قريشا أمروا ابن أبى عزة الجمحى شاعرهم أن يجيبه فقال معبرا عن رأى المهاجرين :

معشر الأنصـــار خافوا ربكم
واستجيروا الله من شر الفتن
اننى أرهب حربـــا لاقحـــا
يشرق المرضع فيهـــا باللبن
جرها ســـعد وسعد فتنـــة
ليت ســـعد بن عبـــادة لم يكن
ليس ما قدر ســـعد كائنا
ما جرى البحر وما كان حضن
ليس بالمـــدرك منهـــا أبـــدا
غير أضغاث أمانى الوسن(٢)

ولم تكن الفتنة بين المهاجرين والأنصـــار فحسب بل كانت الى جانب ذلك بين المهاجرين بعضهم والبعض الآخر .

فبعد أن أجمـــع المسلمون على مبـــايعة أبى بكر للخـــلافة رأى الهاشميون أن عليا أحق بها من أبى بكر ، وأن أبا بكر أخـــذ الحق من اهله ، وعبر شاعرهم عن ذلك مشيدا بفضائل الامام على وماضـــيه

(١) الأخبار الموفقيات ٥٨٥ .
(٢) الأخبار الموفقيات ٥٨٦ .

المهيد وتاريخه الاسلامى الطويل وبلائه الحسن فى سبيل الله والدين ومواقفه النبيلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف
عن هاشم،ثم منها عن أبى حسن

أليس أول من صلى لقبلتكم
وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وأقرب الناس عهدا بالنبى ومن
جبريل عون له فى الغسل والكفن

ما فيه ما فيهم لا يمترون به
وليس فى القوم ما فيه من الحسن

ماذا الذى ردهم عنه فتعلمه
ها ان غبننا من أعظم الغبن

فبعث اليه الامام على فنهاه وأمره ألا يعود ، وقال : « الدين أحب الينا من غيره »(١) •

وما يكاد أبو بكر يتولى خلافة المسلمين حتى تطل فتنة المرتدين برأسها ، حيث نقضت قبائل كثيرة عهدها بالاسلام ، وكل قبيلة مرتدة تعلل لارتدادها ، فمنهم من قال : لو كان نبيا ما مات ، ومنهم من قال : انقضت النبوة بموت محمد فلا نطيع أحدا أبدا ، ومنهم من قال : نؤمن بالله ونشهد أن محمدا رسول الله ونصلى ، ولكن لا نعطى أموالنا » •

فجمع أبو بكر المسلمين وخطب فيهم قائلا عبارته المشهورة :

« والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحاربتهم عليه » •

---

(١) الأخبار الموفقيات ٥٨٠ ، ٥٨٥ •

وقاد الجيوش وحارب المرتدين وانتصر بأمر الله تعالى عليهم وفرض عليهم حق الاسلام . والشعر قد أدى دوره فى هذه المعـارك كما هو الحال بالنسبة للشعراء فى كل معركة أو حادثة .

ومن ذلك القصيدة التى أرسلها زيد الخيل الطائى الى أبى بكـر والتى يقول فى مطلعها :

أمام أما تخشين بنت أبى نصر
فقد قام بالأمر الجلى أبو بكر
نجى رسول الله فى الغار وحده
وصاحبه الصديق فى معظم الأمر(١)

ومن ذلك أيضا قول مجفية بن النعمان العتكى شاعر الأزد معبرا لعمرو بن العاص أمير الأزد حينئذ عن اخـلاص قبيلتهم وعمق فهمهم لروح الاسـلام ، وتمسكهم بمبادىء القرآن وسنة النبى عليه الصلاة والسلام فيقول :

يا عمرو ان كان النبى محمـد
قـد أتى الأمر الذى لا يدفع
فقلوبنا قرحى ومـاء دموعنا
جار وأعناق البرية خضـع
يا عمرو ان حيـاته كوفاته
فينـا وننظر ما يقول ونسمع
فأقم فانك لا تخاف رجوعنا
يا عمرو ذاك هو الأعز الأمنع(٢)

---

(١) الاصابة ١/٥٥٦ .
(٢) الاصابة ٤/٣٤٥ .

فظل فيهم عمرو وكان قد عزم على الرحيل واستأذن سادة الأزد فى الرجوع الى المدينة ولكنه بعد هذه الأبيات التى تحدث فيها مجفة العتكى بلسان قومه • بقى فيهم أميرا مطمئنا الى قوة تدينهم واخلاص عقيدتهم •

ومن الأحداث التاريخية التى استأثرت باهتمام الشعراء فسجلوها فى شعرهم وعبروا أصدق تعبير عن خوالج أنفسهم ازاءها ، حادث الفتنة التى اندلعت فى أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وانتهت بمقتله ، بعد أن حاصره الثائرون فى داخل بيته أياما ، وحاصروا معه جماعة من أصحابه المهاجرين والأنصار ، وأراد المحاصرون معه أن يحاربوا الثائرين بسيوفهم ولكن عثمان أبى حقنا للدماء وحفاظا على وحدة المسلمين من التفتت • ويصور كعب بن مالك الأنصارى ما حدث فى داخل بيت عثمان ، وما يدور من حوار بينه وبين أصحابه فى قصيدة طويلة يقول منها :

فكف يديه ثم أغلق بابه
وأيقن أن الله ليس بغافل

وقال لمن فى داره : لا تقاتلوا
عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم
العداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر عنهم
وولى كأدبار النعام الجوافل(١)

وهذا حسان بن ثابت يتحدث عن الفتنة وعن العنت الشديد الذى لقيه عثمان ومن معه فى الحصار فى الوقت الذى خذله الأنصار فيه ومن هم فى جوار بيته • فيقول :

---

(١) ديوان كعب بن مالك ٢٦٤ •

أتركتموه مفــردا بمضيعة
تنتابه الغوغـاء فى الأمصـار
لهفان يدعو غـائبا أنصاره
يا ويحكم يا معشر الأنصـار
هلا وفيتم عندهـا بوعودكم
وفـد يتم بالسمع والأبصار
جيرانه الأدنـون حول بيوته
غدروا ورب البيت ذى الأستار
ان لم تروا مددا له وكتيبـة
تهـدى أوائل جحفل جـرار
طـاوعتهم فيه العدو وكنتم
لو شـئتم فى معزل وقـرار
لا يحسـبن المرجفون بأنهم
لن يطلبوا بدماء أهل الدار (١)

ويتولى على خلافة المسلمين بعد عثمان بن عفان ولكن الفتنـة لم تضع أوزارها ، واشتعلت نيران الحرب بين على والمناصرين له فى جانب وبين معاوية والزبير وطلحة وعائشة والمناصرين لهم فى جانب، حيث ارتدى كثير من المسلمين فى هـذا الوقت قميص عثمان وطـالب بدمه ، ووقعت حرب (الجمل) ثم (صفين) وسالت دماء المسلمين بأيدى المسلمين ، وسار الشعراء فى ركب المعارك يسجلون ما يحـدث ويصفون المعارك ، ويعبر كل شاعر عن رأى فريقه .

ومن ذلك ما قاله أحد أنصار على بعد أن طعن محمد بن طلحـة الذى كان فى جيش عائشة يحمل على كل من حمل عليه ويردد : حـم

(١) ديوان حسان ٢١٤ .

لا ينصرون • فضربه الرجل ضربة قاتلة ثم قال يعرض الصراع النفسى الذى كان يعـانيه المقاتلون ، لأن الطرفـين فى القتـال من المسلمين فيقـول :

وأشعث قـوام بآيات ربـه
قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

هتكت له بالرمح جيب قميصه
فخـر صريعا لليدين وللفـم

يذكرنى حـم والرمح شـاجر
فهـلا تلاحم قبل التقـدم

على غير شىء غير أن ليس تابعا
عليا ، ومن لا يتبع الحق يندم(١)

وفى موقعة صفين يقول شاعر من شعراء الامام على هو قيس بن عمرو بن مالك النجاشى ، يصف جيش الامام مهددا معاوية بشـجعان العراق والحجاز :

دعن معـاوى ما لن يكـونا
فقـد حقق الله ما تحـذرونا

أتاكم على بأهـل العـراق
وأهل الحجاز • فما تصنعونا ؟

يرون الطعان خلال العجاج
وضرب القوانس فى النقع دينا

هم هزموا الجمع جمع الزبير
وطلحة والمعشر الناكثينـا

(١) الاسلام والشعر ١٨٨ •

فان يكـره القوم ملك العراق
فقد ما رضينا الذى تكرهونا(١)

وبالطبع فان شعراء كل فريق من الفرق المتحاربة يجيبون شعراء الامام على ويردون عليهم • وتحتدم المعركة بين الشعراء الى جـانب المعركة بين المتقاتلين بالسيف • وهكذا يسـجل الشعراء كل شـاردة أو واردة وكل ما يحدث فى عصرهم ، بحيث كان الشعر سجلا تاريخيا وكتابا مفتوحا يقرأ فيه كل من يريد أن يعرف شـيئا عن العصر الذى دون فيـه هذا الشـعر • فحقـا : انه كان علم قـوم لم يكن لهم علم أصح منه •

٩ ــ الشعر الدينى :

هذا اللون من الشعر لم يكن متعارفا عليه قبل الاسلام بالرغـم من أن الشـعراء فى الجاهلية كانت تنساب على ألسنتهم بعض الأبيات التى تتجلى فيها الحكمة ناصعة ، أو يتأمل فيها الشاعر فى الكون والحياة ويتحدث فيها حديثا ينقل السامع والقارىء على السواء نقلة روحانية نحو الملكوت الأعلى ، بحيث يتأثر الانسان ويشارك الشاعر احساسه الروحى وتأمله الكونى •

ولكن هذه الشذرات قليلة ولم تخصص لها قصيدة ولم تدرج تحت غرض شعرى متعارف عليه بين الشعراء •

أما فى الاسـلام ، فبعد أن تمكنت العقيدة من قلوب الشـعراء وعواطفهم ، وتعلموا من القـرآن الكريم والرسول العظـيم مبادىء الاسلام وقيمه ومناهجه السليمة وتعاليمه القويمة ، وعرفوا أن الرسالة لم تكن عبئا على الرسول صـلى الله عليه وسلم وحـده ، وانما هو

(١) وقعة صفين ١٥٣ •

يعلم وينصح أصحابه • وهم بذورهم عليهم أن يبلغوا عنه ما جاء به، من ربه ، وقد أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقته الكاملة فيهم بأن جعلهم قادة ، هداة حين قال صلى الله عليه وسلم « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ومن منطلق قول الله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة » •

حاولوا نشر تعاليم الاسلام وعقائد الدين عن طريق نظم القصائد التى تحمل فى مضمونها هذه التعاليم وتلك العقائد • ومن ثم تحدث الشعراء عن قضية التوحيد ، وعن الوحى والنبوة ، كما تحدثوا عن الموت والحياة ، والبعث والنشر والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار والحلال والحرام •

وبالطبع فان معانى الشعراء فى هذه الموضوعات التى تندرج تحت غرض (الشعر الدينى) قد تأثروا فيها بمعانى القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم • وفى معنى قول الله تعالى : « قل كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » •

قال حسان بن ثابت :

شهدت باذن الله أن محمدا
رسول الذى فوق السموات من عل

وأن أبا يحيى ويحيى كليهما
له عمل فى دينه متقبل

وأن الذى عادى اليهود ابن مريم
رسول أتى من عند ذى العرش مرسل

وأن أخا الأحقاف اذ يعذلونه
يجاهد فى ذات الاله ويعدل(١)

وهذا صرمة بن أبى أنس الأنصارى ، يصيغ تعاليم الاسلام ومثله الكريمة ، ومبادئه القويمة فى قصيدة طويلة يقول منها :

يا بنى الأرحــام لا تقطعوها
وصــلوها قصيرة من طـوال
واتقوا الله فى ضعاف اليتامى
ربما يستحل غير الحــلال
واعلمــوا أن لليتيم وليــا
عالما يهتدى بغير السؤال(٢)

..... الى آخـر القصيدة .

وهذ كعب بن زهير بعد أن يلقى بمعذرته ويتوب الى الله ويعفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، يعتنق الدين ويتخلق بأخــلاق الاسلام ، ثم يرحل الى قومه لينشر بينهم هذا الدين ويبث بينهم تلك الأخــلاق . فيقول من شعره معبرا عن ذلك :

رحلت الى قومى لأدعو جلهم
الى أمر حزم أحكمته الجوامع
سأدعوهم جهدى الى البر والتقى
وأمر العلا ما شايعتنى الأصابع
فكونوا جميعا ما استطعتم فانه
سيلبسكم ثوبا من الله واسع(٣)

---

(١) الديوان ٣٠٥ طبعة سيد حنفى .
(٢) الاستيعاب ١٥٨/٤ .
(٣) الديوان ١١٢ .

وتستمر نصائح الشعراء ومواعظهم فى شعرهم كلما دعا اليهـا داع أو ظهر ما يدعو الى النصح والارشاد .

ومن الأحداث التى احتاجت الى النصح والوعظ قبل اللقاء بحد السيف حركة الردة ، فعندما ارتدت القبائل عن الاسلام وقف شعراء كثيرون من نفس القبائل المرتدة ومن غيرها من القبـائل ، بين المرتدين يبثون بينهم تعاليم الاسلام الى الخـير والحق والفضيلة ، والثبـات على الاسلام ، ونبذ الدعوات الزائفة من مدعى النبوة . ولكن أغلب هذه النصـائح لم تجـد مع المرتدين ولم يكن هنـاك بديل من حد السـيف .

فقد وقف الشاعر ثور بن مالك الذى ثبت على دينه حين ارتدت قبيلته كندة ، ليثنى قومه عن ردتهم وكفرهم بفرائض الدين ، ولكن محاولته لم تفلح . وفى ذلك يقول :

وقلت : تحلوا بدين الرسول
فقالوا التراب ــ سفاها ــ بفيكا
فأصبحت أبكى عـلى هلكهم
ولم أك فيما أتوه شريكـا(١)

كما يقف الحارث بن مرة النفيلى يعظ قومه بنى عامر ويسـدى اليهم النصيحة حين ارتدوا عن دين الاسلام . وفى ذلك يقول :

بنى عامر ان تنصروا الله ينصركم
وان تنصبوا لله والدين تخذلوا
وان تهزموا لا ينجكم عنه مهرب
وان تثبتوا للقوم والله تقتلوا(٢)

---

(١) الاصابة ٢٠٨/١ .
(٢) الاسلام والشعر ٨٦ .

وحين يعلن أهـل نجـران ردتهم ، يقف فيهم الشاعر عمير بن الحصين منشدا واعظا فيقول :

أهل نجران أمسكوا بهدى الله
وكـونوا يـدا على الكفـار
لا تكونوا بعد اليقين الى الشـ
ـك وبعد الرضـا الى الانكار
واستقيموا على الطريقة فيـ
ـه وكونوا كهيئة الأنصار(١)

وهكذا قام الشعر بدوره فى النصح والوعظ والارشاد جنبا الى جنب بجوار الخطابة والكتـابة ، وبنفس الاسلوب الذى دعـا اليه القرآن الكريم وهو قول الله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمـة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ... » .

(١) الاسلام والشعر ٨٦ .

الفصل الثالث

الخصائص الفنية لشعر صدر الاسلام

لا شك أن عصر صـــدر الاسلام كان امتدادا طبيعيا للعصر الجاهلى من الناحية الزمانية ، ومعـــروف أن النبى صلى الله عليه وســـلم بدأ دعوته والعرب هم العرب والشـــعراء هم الشعراء لم تتغير حيـــاتهم وطبائعهم طفرة واحدة • اذ انهم ألفـــوا فى العصر الجاهلى أنمـــاط الحياة التى عرفوها وعايشوها ودرجوا عليها ، ومنها عبادة الأصـــنام والأوثان • فلم يكن سهلا عليهم أن يزحزحوا عن معتقـــداتهم التى لم يعرفوا غيرها فى حياتهم الطويلة ، كما كانت لهم موضوعاتهم الشعرية وخصائصم الفنية التى طبعوا عليها وتعارفوها فيما بينهم من ألفـــاظ ومعان وأغراض وأخيلة وموسيقى شعرية •• وما الىذلك من سماتهم الفنية الجـــاهلية •

فلما جاء الاسلام ونزل القرآن ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، كان لابد من ســـمات شعرية جديدة ينخرط فيها الشعراء ويدورون فى فلكهـــا تختلف بعض الشىء أو كل الشىء عن سمات الجـــاهليين فى شـــعرهم •

وذلك لأن الاسلام قد رقق من طباعهم وهذب من ألفاظهم وألغى من الموضـــوعات الشـــعرية ما يكون فى الخمـــر أو الغزل الفـــاحش أو الهجاء المقذع أو الفخر بعصـــبية قبلية أو عنصرية وطبقية •• وما الى ذلك •

كما طبع الاسلام شعرهم بطابع جمالى مؤثر ، يجمع بين جمال التعبير وقوة التأثير بحيث انجذبت القلوب الى هذا الشـــعر ، ولذلك

كان الشعر من الأدوات التى تستخدم فى الاصلاح الاجتماعى ، وفى خدمة الدين ونشر مبادئه والدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولم يكن هذا الشعر يعتمد على المبالغات المغالى فيها ، كما كان فى كثير من صور ولوحات الشعر الجاهلى . وانما اعتمد الشعر الجديد فى صدر الاسلام على الواقعية وعلى الصدق الفنى الذى يواكب الصدق الواقعى .

كذلك ظهرت فى الشعر الاسلامى أشياء لم تكن شائعة فى الشعر الجاهلى ، من مثل شيوع القسم والدعاء والقصص وغيرها من الأشياء والألوان الجديدة التى كثر وجودها فى الشعر الاسلامى .

كما ظهر أثر الاسلام واضحا فى الألفاظ والمعانى والتراكيب التى كونوا منها عاداتهم وصاغوا منها شعرهم ، حيث اقتبس الشعراء من آى الذكر الحكيم والحديث الشريف ابان صياغتهم لقصيدهم أو صاغوا معانى القرآن والحديث شعرا ، وهذا كله مسجل فى شعرهم . وسنقف — ان شاء الله — على ما قلناه ونأتى بالنماذج التى توضح هذه السمات وتلك الخصائص الفنية :

الألفاظ :

تميز الشعر فى العصر الجاهلى بسمات غلبت على الشعر العربى بعامة سواء فى البادية أو فى الحضر ، ومن هذه السمات : جودة استعمال الألفاظ العربية فى معانيها الموضوعة لها ، من غير مواربة ولا ايثار للمجاز ، مع الميل الى الصراحة والواقعية فى هذا الاستعمال . واللفظة مع هذا جزلة قوية ، مع غلبة الخشونة والوعورة على كثير

من الألفاظ المستعملة علما بأن خشـونة الألفاظ المستعملة فى العمـل الفنى ليست متعمدة ، وانما هى طبيعة فيهم وهى لغتهم العادية التى يستخدمونها فى حياتهم اليومية وبخاصة اذا كان الشاعر أو المتحدث من أهل البادية ، أما اذا كان من أهل الحضر ، فان ألفـاظه وتعبيراته تكون أقرب الى الرقة منها الى الخشـونة ، مع الاحتفاظ بجزالتهـا وقوتها • فلما جاء الاسلام للناس عامة وتوحدت لهجات العـرب فى لغة القرآن الكريم الذى هو دستور الحياة لكل من آمن وشهد أن محمدا رسول الله واهتدى بالقرآن •

هجرت ألفاظ كثيرة من التى كان يستعملها العرب ولاسيما الخشن منها ، ، وجدت ألفـاظ لم تكن متداولة فى لغتهم ، من مثل كلمـات : الايمان والكفر والوحى والقـرآن والنبوة والرسالة والجنة والنـار والتقوى والجهاد والقيامة والشهيد والمسجد والصلاة والزكاة والفىء والجزية والحلال والحرام •• وما الى ذلك من الألفاظ التى وضـعت لمعانيها فى الدين الاسـلامى ولم تكن مستخدمة فى مثل هذه المعـانى فى العصر الجاهلى • يقول فى ذلك ابن فارس : « كانت العـرب فى جاهليتها عـلى ارث من ارث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسـائكهم وقرابينهم ، فلما جـاء الله ـ جل ثناؤه ـ بالاسلام حالت أحـوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع أخرى بزيادات زيـدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت فعفى الآخر الأول »(١) •

---

(١) الصاحبى فى فقه اللغة ٧٨ •

والذى ينبغى أن يكون فى الحسبان هو أن الاسلام حينمـا بدأ ظهوره فى الجزيرة العربية لم يؤمن به الناس جميعا من أول وهلة بل تسربت اشعاعاته النورانية الى قلوب أفراد قلائل شرح الله صدورهم للاسلام فآمنوا به واهتدوا بهداه ، ورددوا كلمـاته ، وظل الكثيرون من أهل هذه الجزيرة ومنهم الشـعراء يصدون قلوبهم عن الرسـول والرسالة • وظل القرآن فى آذانهم وقراو هو عليهم عمى سنوات عدة•

ومعنى ذلك أن ألفاظ الايمان والوحى والقرآن والنبوة وغيرهـا من الألفاظ لم تنتشر فى شعر الشعراء الا بعد أن اتسعت رقعة الاسلام وتمكنت لغة القرآن من قلـوبهم وألسنتهم ، فشاعت بعـد ذلك هذه الكلمات فى شعرهم واستعمالاتهم •

وعندما نقف على نصين من شعر حسان بن ثابت • نص قاله فى بداية عهـد المدينة بالاسـلام ، ونص قاله بعد أن تمكنت العقيدة من عقـولهم وأفئدتهم يتبين لنـا الفرق واضحا بـين النصين من حيث استخدام الكلمات الايمانية واشـاعة الروح الدينية فى النص الأخير دون الأول •

فعندما قال رجل من قريش فى أسرهم سعد بن عبادة حين بايعوا النبى — صلى الله عليه وسلم — يوم الاثنى عشر نقيبا :

تداركت سعدا عنـوة فأخذته
وكان شفاء لو تداركت منـذرا

ولو نلته طلت هنـاك جراحـه
وكانت جراحا أن تهان وتهـدرا

فقال حسـان يجيبه :

لست الى عمرو ولا المرء منذر
اذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

فلولا أبو وهب لمرت قصائد
على شرف البلقاء يهوين حسرا
فانا ومن يهدى القصائد نحونا
كمستبضع تمرا الى أهل خيبرا
فلاتك كالوسنان يحلم أنه
بقرية كسرى أو بقرية قيصرا
ولاتك كالشاة التى كان حتفها
بحفز ذراعيها فلم ترض محفرا
ولاتك كالغادى فأقبل نحره
ولم يخشه سهما من النبل مضمرا
أتفخر بالكتان لما لبسته
وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا(١)

واذا كانت هذه الأبيات لا تخرج عن الشعر الجاهلى فى ألفاظه ومعانيه بالرغم من أنها قيلت فى الاسلام . فان شعر حسان بعد ذلك — أى بعد أن انتشرت تعاليم الاسلام وتوالى نزول القرآن ، واتسعت رقعة المؤمنين — قد تغير كثيرا عن ذى قبل ، حيث تسربت اليه اشعاعات الايمان ، وأخذ يصدر عن روح ايمانية فى ألفاظه ومعانيه ، وردد فى شعره كما ردد غيره من الشعراء المؤمنين جميع الألفاظ التى جدت مع الاسلام ، أو التى كثر استخدام الاسلام لها .

فهذه كلمة (المؤمنين) يذكرها حسان كثيرا فى مثل قوله :

رأيت خيار المؤمنين تواردوا
شعوبا وقد خلفت فيمن يؤخر

(١) ديوان حسان بن ثابت ٣٠٨ .

وقــوله :

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم
الى الموت ميمون النقيبة أزهر (١)

ووردت كلمة (القرآن) ومترادفاتها كثيرا فى شعر حسان . فهو القرآن فى قوله :

جحدوا القرآن وكذبوا بمحمــد   والله يظهر أمر كل رســول

وهو الوحى فى قوله :

أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم   لا يطبعون ولا يرديهم الطمــع

وهو الكتاب المنزل فى قوله :

منعنا بها خير البرية كلهــا   اماما ووقرنا الكتاب المنزلا (٢)

وتتردد كلمتا (النبى والرسول) فى شعر كعب بن مالك حين يقول :

أرى النبى برأى صــدق
وكان الله يحــكم لا يجــوز
وكان رســـول الله قد قال أقبلوا
فولوا وقالوا انما أنت ساحر (٣)

كما تتردد كلمتا (الرسول والقرآن) فى قــول كعب بن زهير فى قولــه :

---

(١) ديوان حسان ٢٢٣ .
(٢) ديوان حسان . طبعات مختلفة ، ٢٨٤ ، ٢٣٨ ، ٢٧٦ .
(٣) ديوان كعب بن مالك ٢٠٣ .

نبئت أن رســول الله أوعــدني
والعفو عند رســول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ
ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل (١)

ويتناول كعب بن مالك كلمة (الكفر) في قوله :

يذودوننا عن ديننـــا ونذودهم عن الكفر والرحمن راء وسامع(٢)

ونجد كلمة (الجنة) في قول حســـان :

صلى عليك الله في جنــة
عاليـــة مكــرمة الداخل (٣)

وكلمة (النار) في قول فاتك بن زيد العبسي :

انهـــا ردة تقود الى النار فلا تولعن بقال وقيـــل (٤)

كما نجد كلمة (التقوى) مرددة في كثير من شعر هذه الفترة ٠

ومن ذلك قول الزبرقان بن بدر في حروب الردة :
أردت بها التقوى ومجد حديثها اذا عصبة سامى قبيلي فخورها(٥)

وظهرت في شعرهم كلمة : (الجهاد) في مثل قول ذريح بن الحارث متحدثا عن ابنه :

---

(١) ديوان كعب بن زهير ، ص ٦ وما بعدها ، طبعة دار الكتب ٠
(٢) ديوان كعب بن مالك ٢٠٣ ٠
(٣) ديوان حسان ٢٢١ ٠
(٤) الاصابة ٢٠٥/٣ ٠
(٥) تاريخ الطبرى ٣٠٥/٣ ٠

أبغى الحباب فى الجهاد ولا أرى له   شبها ما دام لله ساجدا (١)

وكلمة (القيامة) فى قول حســان :

وما فقد المــاضون مثل محمد   ولا مثله حتى القيامة يفقد (٢)

وكلمة (الشهيد) فى قول حسان أيضا يرثى حمزة بن عبد المطلب:

ما لشهيد بين أرماحكم   شلت يدا وحشى من قاتل(٣)

وكلمــة (المســجد) فى قول أبى زيد الطائى فى رثائه لعثمان بن عفان :

حتى تتصلها فى مســجد طهر   على امام هدى ان معشر جاروا(٤)

وكلمتا (الصلاة والزكاة) فى قول عمرو بن قريط العامرى :

ثقلت صــلاة المســلمين عليكم
بنى عــامر والحق جد ثقيل
وأتبعتموهــا بالزكــاة وقلتم
ألا لا تقروا منهما بفتيــل (٥)

وكلمتا (الحلال والحرام) فى قول حسان بن ثابت :

فتكون أول مســتحل حلاله   ومحرم لله كل حــرام (٦)

---

(١) الاصابة ٣/٢٤ ٠
(٢) ديوان حسان ٢٧٩ ٠
(٣) ديوان حسان ٢٢٠ ٠
(٤) شعر أبى زيد الطائى ٦٤ ٠
(٥) الاسلام والشعر ٢٦٥ ٠
(٦) ديوان حسان ١٤٣ ٠

وهكذا استخدمت فى شعر هذه الفترة كلمات كثيرة ومصطلحات تحمل فى باطنها معانى الاسلام وأركانه وأصول شريعته • سواء على طريق الحقيقة أو المجاز • وهى ألفاظ ومصطلحات لم تكن مستخدمة لهذه المعانى فى الشعر الجاهلى •

ولكن الى جانب هذه الألفاظ التى كان استعمال الشعراء لها جديدا فى شعرهم فى تلك الفترة — أعنى صدر الاسلام — فان سمة بارزة قد جدت فى شعرهم وهى سمة التكرار فى الألفاظ والمعانى • من مثل قول حسان بن ثابت فى رثائه للرسول ﷺ :

فبوركت مولودا ، وبوركت ناشئا
وبوركت عند الشيب اذ أنت أشيب
وبورك قبر أنت فيه ، وبوركت
به وله لذلك يثرب (١)

فكلمة (بورك) قد تكررت خمس مرات فى هذين البيتين :

ومن تكراره أيضا قوله :

ومن خير حى يعلمون لسائل
غياثا وعان موثق فى السلاسل(٢)
ومن خير حى يعلمون لجارهم
اذا اختارهم فى الأمن أو فى الزلازل

ومن هذا التكرار الذى يفيد التأكيد قول أنس بن زنيم الدؤلى يخاطب الرسول ﷺ :

---

(١) ديوان حسان ٢١ •
(٢) ديوان حسان ١٦٧ •

تعلم رســـول الله أنك مدركى
وأن وعيدا منك كــالأخذ باليد
تعلم رســـول الله أنك قــادر
عــلى كل صرم متهمــين ومنجد(١)
تعلم بــأن الركب ركب عويمر
هم الكاذبون المخلفو كل موعد

ومن التكرار المفيد فى نشر الرسالة الاسلامية قول الفضــل بن العباس يخاطب المشركين فى فتوح الشام :

أقروا بــأن الله لا رب غــيره
والا تروا أمرا عظيمــا مداجيا
أقروا بأن الله أرســل أحمدا
نبيا كريمــا للخلائق هاديا (٢)

على أن الشعراء فى تكرارهم لهذه الألفاظ وغيرهــا ممــا كــان مستعملا فى شعر صدر الاسلام ، كانوا متأثرين بالأسلوب الخطابى ، اذ أن الخطابة هى عماد الدعوة الاسلامية وركنها الهام • وربما « كانوا متأثرين بالأســلوب القرآنى الذى كثيرا مــا اعتمد التكرار من أجل التقرير والتأكيد » (٣) •

كما تكررت فى الشعر الاسلامى ألفاظ ومصطلحات لا عهد للشعر الجاهلى بها ، من مثل تسمية المدائح بــ (البديعيات) ووصف الرسول

---

(١) ابن هشام ٢/٤٢٤ •
صرم : بيوت مجتمعة • متهمين : ساكنين فى التهــام أى المنخفض من الأرض • والمنجد : المرتفع •
(٢) الاسلام والشعر ص ٢٢٠ •

ﷺ بـ (الهادى والهدى) وتكررت كلمة (الطريقة) وكلمة (طيبة) وجملة (صلى الا له) .

وفى الرثـاء :

انتشرت بين الشعراء عبارات : صلاة الله وسلامه على المتوفى ، أو صلاة الملائكة والمؤمنين وسلامهم عليه .

ومن ذلك قول صفية بنت عبد المطلب فى رثائها للرسول ﷺ :

أفـاطم صلى الله رب محمد — على جدث أمسى بطيبة ثاويا (١)

وقول أبى بكر الصديق فى رثائه للرسول ﷺ :

فصلى المليك ولى العبا — د ورب البلاد على أحمد (٢)

وقول حسان بن ثابت فى رثائه لحمزة :

صلى عليك الله فى جنة — عالية مكرمة الداخل (٣)

ويقول فى رثاء شهداء الرجيع :

صـلى الاله على الذين تتابعوا — يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا (٤)

وقول كعب بن مالك فى رثاء شهداء مؤتة :

صـلى الاله عليهم من فتيـة — وسقى عظامهم الغمام المسبل (٥)

---

(١) الاستيعاب ١٤/١ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣١٩/٥ .
(٣) الديوان ٢٢١ .
(٤) المرجع السابق ١٧٣ .
(٥) الديوان ١٦٧ .

وتكرر لفظ (أبلغ) و (من مبلغ) فى مطالع القصائد وبخاصة فى الهجاء والنقائض لبعد المشركين عنهم ولطبيعة الجدل والحجاج التى سيطرت على شعراء تلك الفترة ومن ذلك أن بنى جحش حينما هاجروا الى المدينة ، عدا أبو سفيان بن حرب على دارهم فى مكة فباعها ، فقال عبد الله **بن جحش :**

أبلغ أبــا سفيــان عن
أمــر عواقبــه ندامه
دار ابن عمك بعتهـــا
تقض بها عنك الغرامة(١)

ويقول كعب بن مالك فى أحد :

أبلغ قريشا على نأيهــا ‏ ‏ ‏ ‏ أتفخر منا بما لم تل (٢)

* * *

الأســلوب :

مع أن عصر صدر الاسلام امتداد زمانى للعصر الجاهلى ، ومع أن الشعراء الذين نظموا الشعر فى الاسلام هم أنفسهم الشعراء الذين نظموا الشعر فى العصر الجاهلى ومن ثم سموا بـ (المخضرمين) الا أن الاسلام كان له أثره الفعال فى تغيير طبيعتهم الشعرية وحيــاتهم الأدبية عما كانوا عليه فى العصر الجاهلى وبخاصة بعد أن تمكن الاسلام

---

(١) ابن هشام ١/٥٠ .
(٢) الديوان ٢٥٤ .

من قلوب هؤلاء الشعراء وجرت على ألسنتهم ألفاظه وأثرت في عقولهم معانيه • فتحرر هؤلاء الشعراء أو أغلبهم من تقاليد الشعراء الجاهليين في النظم من حيث مخاطبة الاثنين في الشعر كما هو الحال في مطلع قصيدة امرىء القيس (قفا نبك) ، وهو تقليد دأب عليه الشـعراء الجاهليون في مطالع قصائدهم •

واذا كان التطويل في القصيدة وتعدد الأغراض فيها مع ضرورة الاستهلال بالنسيب والتشبيب أو بذكر الدمن والديـار والحديث عن آثار المحبوبة وهو المسمى بـ (الأطلال) •

ثم ذكر الناقة والراحلة والصحراء والمشاق التي يتكبدها وصولا الى الممدوح مثلا •

اذا كان ذلك سمة من سمات الشعر في العصر الجاهلي فان الشعر في العصر الاسلامي قد تحرر من كثير من هذه القيود حيث كان الشعراء في أغلب الأحـايين يتخففون في نظمهم من الأوزان الطويلـة ، ومن المطالع الغزلية أو الطللية ، التي كانوا أحيانا يستبدلونها بمقدمـات دينية • وقد جعل بعض الباحثين (١) مقدمة الشـاعر الاسـلامي : عبد الله بن الأحمر الأزدي أولى المقدمات الدينية الجديدة التي ظهرت في الشعر الاسلامي وكانت بديلا عن المقدمات الطللية التي تعارف عليها الشعراء في العصر الجاهلي •

يقول عبد الله بن الأحمر في مقدمته هذه :

---

(١) الاسلام والشعر ٢٤٠ ، د/ سامي العاني •

صحوت وودعت الصبا والغوانيا
وقلت لأصحابى : أجيبوا المناديا
وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى
وقبل الدعا : لبيك لبيك داعيا (١)

يقول الدكتور يوسف خليف عن هذه المقدمة : « والشىء الذى نريد أن نسجله هو أن هذه المقدمة تعد شيئا جديدا فى الشعر العربى فى ذلك الوقت » (٢) .

كما أن القصيدة لم تعد متعددة الأغراض ، ولم يعد التطويل فى القصيدة حسنة للشاعر وانما تخففت القصيدة من تعدد الأغراض ومن الافراط فى التطويل الممل . ولعل ذلك كان نتيجة حياة الحروب والمنافرات والمفاخرات التى لا يستطيع الشاعر معها أن يبدأ بمطالع تقليدية ولا أن يعدد فى الأغراض ولا غير ذلك مما تعارف عليه الشعراء فى العصر الجاهلى . وغالبا ما كان الشاعر الاسلامى يتطلب الأمر منه أن يرتجل القصيدة ارتجالا كما هو الحال مع حسان بن ثابت فى قصيدته (ان الذوائب) التى ارتجلها ليجيب بها على وفد بنى تميم .

ولكن اذا كانت القصيدة الاسلامية قد اختفت منها العناصر التقليدية أو كادت ، فانها قد ظهرت فيها أساليب جديدة لم يكن متعارفا عليها فى الشعر الجاهلى كأسلوب القسم والدعاء .

القسم :

ومن التعبيرات المتميزة فى شعر صدر الاسلام أسلوب القسم .

---

(١) مروج الذهب ٣/٩٤ .
(٢) حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية القرن الثانى الهجرى ٣٨٢ .

وقد استخدم الشعراء جميع أساليب القسم التى ترجع كلها الى لفظ الجلالة أو صفة من صفاته تعالى أخذا من تعاليم الاسلام بأن اليمين لا ينعقد الا بالله أو بصفة من صفاته تعالى •

وقد تأثروا فى قسمهم وفى قولهم بأسلوب القرآن الكريم ، ومن ذلك قول **أبى صخر الهذلى :**

أما والذى أبكى وأضحك والذى　　أمات وأحيا والذى أمره الأمر (١)

فقد تأثر الشاعر بقول الله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا » ويقسم المتوكل الليثى متأثرا فى قسمه بآية الحج فيقول :

لا والذى يهوى الى بيته　　من كل فج محرم ناحل (٢)

يشير فى هذا البيت الى قوله تعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » •

وحينما تتطلب الدعوة الاسلامية القسم لتأكيد مفهوم اسلامى يقسم الشاعر على ذلك • كما هو الحال فى قسم عبد الله بن عمر بن الخطاب على نزول القرآن من عند الله • وارسال محمد ﷺ فيقول :

وحق من أنزل الآيات فى السور　　وأرسل المصطفى المبعوث من مضر (٣)

ويقسم أيمن بن خريم بمن أرسى الجبال وأنزل الفرقان فيقول :

أما والذى أرسى ثبيرا مكانه　　وأنزل ذا الفرقان فى ليلة القدر (٤)

---

(١) الأمالى ١٤٩/١ •
(٢) شعر المتوكل ٢٣٩ •
(٣) فتوح الشام ١٤٤/٢ •
(٤) وقعة صفين ٥٧٦ •

ويقسم حميد بن ثور الهلالى مكررا قسـمه فى رثـائه لخليفة المسلمين الثالث : عثمان بن عفان رضى الله عنه فيقول :

انى ورب الهدايـا فى مشاعرهـا
وحيث يقضى نذور الناس والنسك
ورب كل منيب بـات مبتهـلا
يتلو الكتاب اجتهادا ليس يترك
لا أنكرن الذى أو ليتنى أبـدا
حتى أعد من الهلكى اذا هلكوا (١)

الدعـاء :

ومن الأساليب والتعبيرات الجديدة على الشعر العربى آنذاك : أسلوب الدعاء ، والابتهال والتضرع الى الله تبـارك وتعالى والتقرب اليه سبحانه بصالح العمل .

ولما كان الدعاء فى الاسلام من أقوى أركان العبادة . حيث حث عليه القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « وقال ربكم ادعونى استجب لكم » وقوله سـبحانه : « واذا سـألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » .

وفى قول رسول الله ﷺ : « الدعاء مخ العبـادة » وقوله : « لا تجزعوا فى الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء أحـد » وغـير ذلك عشرات

(١) ديوان حميد ١١٤ .

الأحاديث التى تحض المؤمن على الدعـاء والتضرع الى الله تعـالى والاستعانة به فى النوائب •

لما كان الأمر كذلك فان المسلمين ومنهم الشعراء قد لجأوا الى الله تعالى راجين منه سـبحانه ستر العيوب ومغفرة الذنوب وتفريج الكروب ، وهم فى دعائهم تائبون نائبون مقرون بذنوبهم وآثامهم • ومن ذلك قول عمرو بن الجموح الأنصارى :

أتـوب الى الله سـبحـانه
وأسـتغفـر الله من نـاره
وأثنى عليـه بـآلائـه
باعلان قلبى واسـراره(١)

ومن ذلك أيضا قول النعمان بن بشير الأنصارى :

رب انى ظلمت نفسى كثـيرا
فاعف عنى أنت الغفور الودود
وقـنى شر من أخـاف فـانى
مشـفق خـائف لما تسـتعيد
من خطـوب اذا ذكرت ذنوبى
وقرأت القرآن فيه الوعيد(٢)

وهكذا كان الشعراء يلجأون الى الله تعالى وهم مقرون بذنوبهم ، وهم اليه تائبون نائبون • وهذا الدعاء فى الشعر مشرب بروح الدين ومعانى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وهو من جهة أخرى دليل على قوة الايمان ، وتعلق القلوب بالله رب العالمين الذى أمر

---

(١) الاصابة : ٥٢٣/٢ •
(٢) شعر النعمان : ٩٢ •

بالدعاء وتوكل بالاجابة . « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير » .

الصـــور والأخيـــلة :

لا شك أن الشاعر يستمد صوره وأخيلته فى شعره مما وقعت عليه عينه ، وسجلته ذاكرته ، والشاعر فى الجاهلية لم يصور أو يتخيل أكثر مماوقعت عليه عينه فى بيئته سواء أكانت البادية أم الحضر ، وماوقعت عليه عينه فى رحلاته التجارية الى الشام واليمن . وفى رحلاته الشعرية الى الغساسنة والمناذرة . علما بأن الشعراء الجاهليين ليســـوا جميعا ممن ذهبوا فى رحلتى الشتاء والصيف — أى الى الشام واليمن — أو فى رحلات شعرية الى البلاد المتخامة للجزيرة العربية .

وبناء على هذا فان الصورة الشعرية فى العصر الجاهلى يغلب عليها أن تكون منتزعة من بيئة الشاعر الصحراوية ومن حياته ولا أكثر .

فلما كان العصر الاسلامى ونزل القرآن الكريم على رســـول الله ﷺ ، وقرأه الشعراء ضمن من قرؤوه من المسلمين وتأثروا به ، لفظا ومعنى وروحا وعملا ، أخذوا كثيرا من صورهم وتشبيهاتهم منه .
ومن ذلك أن الرسول نور ورحمة فى قول حسان :

وأرسله فى الناس نورا ورحمة فمن يرض ما يأتى من الأمر يهتد(١)

وهو الضياء والنور :

كان الضـــياء وكان النور نتبعه وكان بعد الاله السمع والبصرا(٢)

---

(١) ديوان حسان : ٢٠٥ .
(٢) الاسلام والشعر ٢٥٠ .

وهو كالهلال :

مثل الهلال مباركا ذا رحمة سمح الخليفة طيب الأعواد (١)

وهو السراج المستنير :

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند (٢)

وهو الشهاب والبدر :

واف وماض شهاب يستضاء به بدر أنار على كل الأماجيد (٣)

والرسالة نور :

فلما أتانا رسول الاله بالنور والدين بعد الظلم (٤)

والقرآن نور :

ينتابنا جبريل فى أبياتنا
بفرائض الاسلام والأحكام(٥)
يتلو علينا النور فيها محكما
قسما لعمرك ليس كالأقسام

وهو نور لكل باد وحاضر :

كتابا من الرحمن نور لجمعنا وأحلافنا فى كل باد وحاضر(٦)

والرسول شهاب يتبعه النور :

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه نور مضىء له فضل على الشهب (٧)

---

(١) (٢) الاسلام والشعر ٢٥١ .
(٣) الى (٥) انظر : الاسلام والشعر ٢٥٠ : ٢٥١ .
(٦) الاصابه فى تميز الصحابة ٢/٣٥٢ .
(٧) ديوان كعب بن مالك : ١٧٤ .

والقرآن كالمجرة :

تبعت رسول الله اذ جاء بالهدى   ويتلو كتابا كالمجرة نيرا (١)

ولا يجد النابغة الجعدى خيرا من صور القرآن الكريم يستعير منها لتأكيد صفة من صفات الله تعالى وهى صفة القدرة . فى مثل قوله .

الحمــد للــه لا شـــريك له
من لم يقلهـا فنفســه ظـلما
المولج الليل فى النهار وفى اللـ
ـيل نهـارا يفرج الظلمـا (٢)

وهى صورة من معنى قوله تعالى : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل »(٣) .

وهذه الصور جميعها مستمدة من القرآن الكريم مشربة روح الدين منبعثة من الايمان سالت على ألسنة الشعراء شعرا معبرا بعد أن قرأها الشعراء وحفظوها وتأملوها وعملوا بمضمونها .

ولكن الشعراء الاسلاميين لم يتناسوا الصور والأخيلة التى ألفوها فى بيئاتهم وحياتهم . فظلوا يصورونها فى شعرهم أيضا بعد الاسلام .

فهذا كعب بن مالك ينتزع صـوره من بيئته حين يشـبه طعنات الرماح بفم السقاء الذى يتدفق ماؤه ويسيل فيقول :

تكر القنا فيكم كأن فروعهـا   عزالى مزاد ماؤها يتهزع (٤)

---

(١) الاستيعاب : ٥٥٣/٣ .

(٢) شعر النابغة : ١٣٣ .

(٣) آل عمران آية ٢٧ .

(٤) ديوان كعب بن مالك : ٢٦٦ .

ويريد كعب أن يصور شدة الحرب ، فيشبه الحرب بالناقة ، كلما شد على ضرعها درت أكثر ، فيقول :

ألسنا نشد عليها العصـــا ب حتى تدر وحتى تلينا (١)

ويريد العباس بن مرداس أن يشبه راية المسلمين التى تخفق فوق الجيش الاسلامى ، فلا يجد مشـــبها به لهــذه الراية فى السرعة والحركة الا طرف السحابة الرقيقة ، فيقول :

صبرنا مع الضحاك لا يستفزنــا
قراع الأعــادى منهم والوقــائع
أمــام رســول الله يخفق فوقنـــا
لواء كخذروف السحابة لامع(٢)

وهكذا أضاف الشعراء الصور والأخيلة المنتزعة من الدين وروح الاسلام . الى الصور والأخيلة التى تعارفوا عليها وألفوها فى بيئاتهم قبل الاسلام وبعده .

---

(١) الاسلام والشعر : ٢٥٥ .
(٢) ابن هشام : ٢/٤٦٣ .

الفصل الرابع

الروح الاسلامية فى شعر صدر الاسلام

لا شك أن الشعراء الذين عاشوا زمانا فى الجاهلية وأدركهم الاسلام لم يكونوا جميعا قد أسلموا فى وقت واحد بل منهم من أسرع الى الاسلام فأسلم وحسن اسلامه وتمكنت العقيدة من قلبه فأخذ يصدر عن روح ايمانية وأخذت المعانى الاسلامية تتردد فى شعره ، وظهر الاقتباس بصورة واضحة فى شعرهم من معانى القرآن الكريم والحديث الشريف ومن ألفاظهما سواء أكان ذلك الاقتباس فى شعرهم الذى دافعوا فيه عن دينهم وعن رسولهم الكريم ﷺ ، أو فى بقية أغراضهم الشعرية •

ومن الشعراء الذين قيضهم الله للذود عن حياض الاسلام والدفاع عن الدين الاسلامى والتصدى للمشركين فى كل مكان • حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه وكلهم قد خالطت قيم الاسلام شغاف قلوبهم فظهرت واضحة فى شعرهم • ومن ذلك قول ابن رواحه الذى كان أكثر الجميع اقتباسا من القرآن الكريم واصدارا عن روحه وقيمه وأخلاقه ومنهجه :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا (١)

فالشطر الأول من هذا البيت اشارة الى قوله تعالى : « وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها »(٢) •

---

(١) الاستيعاب : ٣٦٢ •

(٢) سورة الكهف : الآية : ٢١ •

والى قوله تعالى : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين » (١) •

ولم يكن هؤلاء الشعراء الثلاثة هم كل الشعراء الذين استثناهم القرآن الكريم من القاعدة العامة ومن الحكم العام الذى أصدره على الشعراء يقول الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، الا الذين آمنــوا وعملوا الصالحات وانتصرا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » •

ولم يكن هؤلاء الشعراء الثلاثة هم كل الشعــراء الذين عنــاهم القرآن الكريم ، بقول الله تعالى : « آمنوا وعملوا الصالحـــات » بل هناك كثير من الشعراء المؤمنين الذين نافحوا عن الدين الاســلامى وزادوا عن حياضه وتصدوا للشعراء المشركين فى كل مكان ، وهؤلاء الشعراء المؤمنين لم يحظوا بالشــهرة وعلوا الصيت مثلما كان حسان وكعب وابن رواحه •

ومن هؤلاء الشعراء أبو قيس بن صرمه الأنصارى الذى يقول فى قصيدته الرائعة :

ونعلم أن الله لا شىء غــيره   وأن كتاب الله أصبح هاديا (٢)

الشطر الأول اشــارة الى قوله تعالى : « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد » (٣) •

---

(١) الأعراف : الآية : ٤٤ •
(٢) الاستيعاب : ٣٣٤ •
(٣) الكهف : الآية : ١١٠ •

والشطر الثانى : اشارة الى قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (١) •

ومن ذلك أيضا قول أبى الدرداء :

يـريد المـرء أن يؤتى منـاه
ويـأبى الله الا مـا أرادا
يقول المـرء فـائدتى ومـالى
وتقوى الله أفضل ما استفادا (٢)

الشطر الثانى من البيت الأول اشارة الى قوله تعالى : « انمـا أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » (٣) والى قول الرسـول ﷺ « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » •

والشطر الأول من البيت الثانى اشارة الى ما رواه البخارى عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يقرأ قول الله تعالى : « الهاكم التكاثر •• » ثم قال : « يقول ابن آدم مالى مالى ، وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبسـت فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » •

والشطر الثانى من البيت الثانى اشارة الى قوله تعالى:« وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقونى يا أولى الألباب » •

ومن الشعراء المخضرمين عبدة بن الطبيب الذى أصدر شعره منذ أسلم عن روح اسلامية ومعان اسلامية • ومن ذلك قصيدته العينية التى سجلها المفضل الضبى فى (مفضلياته) والتى يوصى فيها بنيه

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢ •
(٢) الاستيعاب : ص ٦٦٣ •
(٣) الآية : ٨٢ من سورة يس •

بوصاياه التى امتزج فيها العقل وتجارب السـنين بقيم الاسـلام الرشيدة ومبادئه الحميدة ، وذلك أنه حينما كبر سنه وضعف بصره جمع أبناءه ونصحهم بتقوى الله وبر الوالدين والاتحاد فيما بينهم ، وحذرهم من النمام والمنافق ومن شرور الناس ، وذكرهم بأن الدنيا فانية وأن الموت نهاية كل حى . يقول من قصيدته الطويلة :

أبنى انى قـد كبـرت ورابنى
بصرى ، وفى لمصلح مسـتمتع
أوصـيكم بتقى اللـه فـانه
يعطى الرغائب من يشاء ويمنع
وببـر والدكم وطـاعة أمره
ان الأبـر من البنين الأطوع
ودعوا الضغينة لاتكن منشأنكم
ان الضغـائن للقرابة توضـع
واعصوا الذى يزجى النمائم بينكم
متنصحا ، ذاك السمام المنقع
يزجى عقـاربه ليبعث بينكـم
حربا كما بعث العروق الأخدع
حران لا يشـفى غليل فؤاده
عسل بماء فى الاناء مشعشـع
لا تأمنوا قوما يشب صـبيهم
بين القوابل بالعداوة ينشـع
ان الذين ترونهم اخـوانكم
يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

ويظل يزجى وصايـاه لأولاده الى أن يقول لهم مذكرا ايـاهم بالموت والحساب :

ان الحوادث يخترمن وانمـا
عمر الفتى فى أهله مسـتودع
يسعى ويجمع جاهدا مستهترا
جدا ، وليس بآكل مـا يجمع
حتى اذا واقى الحمـام لوقته
ولكل جنب لا محـالة مصرع
نبذوا اليه بالسلام فلم يجب
أحدا وصم عن الدعاء الأسمع (١)

وعبده بن الطبيب هذا هو القائل فى رثاه قيس بن عاصم :

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمتـه من شـاء أن يترحمـا
تحيـة من ألبسـته منك نعمـة
اذا زار عن شحط بلادك سلمـا
فلـم يك قيس هلكه هلك واحـد
ولكنه بنيـان قـوم تهدمـا(٢)

ونلاحظ على أبياته هذه روح الاسـلام اذ أنه يذكر (الله) ، و (الرحمة) ويترحم على صاحبه ويلقى عليه تحية الاسلام . وفى قوله : (تحية من ألبسته منك نعمة) اشارة الى قول الله تعالى : «هل جزاء الاحسان الا الاحسان »(٣) .

---

(١) المفضليات من ص ١٤٥ ـ ١٤٩ ، والشعر والشعراء ج٢/٧٢٧ ـ ٧٢٨ .

(٢) الشعر والشعراء ٢/٧٢٨ .

(٣) الرحمن : الآية : ٦٠ .

وهذا سويد بن أبى كاهل اليشكرى الشاعر المخضرم الذى عاش فى الجاهلية دهرا ثم عمر فى الاسلام الى مـا بعد سـنة ٦٠ للهجرة النبوية الشريفة .

يسجل له المفضل الضبى قصيدة طويلة تبلغ ١٠٨ مائة وثمانية من الأبيات يباهى فيها بالاسلام وأخلاقه الكريمة ويفخر فيها بما منحهم الله اياه من العزة والمنعةحتى غلبوا أعداءهم بما آزرهم الله به من قوة . كما أنه يتحدث عن العزة والاباء والتطلع الى المعالى ، وكل ذلك من نعم الله عليهم حيث يقول :

كتب الرحمن والحمـد لـه
سعة الأخلاق فينا والضلع

وابـاء للدنيـات اذا
أعطى المكثور ضيمـا فكنع

وبنـاء للمعـالى انمـا
يرفع الله ومن يشاء وضـع

نعم لله فينـا ربهـا
وصنيع الله ، والله صـنع (١)

والبيت الثانى من هذه الأبيات يشير الى قول الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (٢) .

وقوله (يرفع الله ومن شاء وضع) اشارة الى قول الله تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق

---

(١) المفضليات من ١٩٠ ـ ٢٠٢ المفضلية ٤٠ .
(٢) المنافقون : الآية ٨ .

بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » (١) ٠

والى قوله تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير » (٢) ٠

ومن الشعراء المخضرمين : الحصين بن الحمام سيد بنى مرة ومن شعره الذى قاله فى الاسلام :

ويوم تسعر فيه الحروب
لبست الى الروع سربا لها
فلم يبق من ذاك الا التقى
ونفس تعالج آجالها
أمور من الله فوق السماء
مقادير تنزل أنزالها
أعوذ بربى من المخزيا
ت يوم ترى النفس أعمالها
وخف الموازين بالكافرين
وزلزلت الأرض زلزالها (٣)

والمعانى والألفاظ الاسلامية تتردد على لسان الشاعر فى هذه الأبيات فهو يرتدى لباس الحرب جهادا وتقى ويبيع نفسه لله الذى يسير المقادير بمشيئته تعالى ويستعيذ بربه من المخزيات (يوم ترى النفس أعمالها) أى يوم الحساب وهو يوم القيامة ٠ ومعانيه جميعها مأخوذة من القرآن الكريم ، فهو يشير بقوله (فلم يبق من ذاك الا

---

(١) الزخرف : الآية : ٣٢ ٠
(٢) المجادلة : الآية ١١ ٠
(٣) الأغانى ١٤/١٤ ٠

التقى) الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون »(١) •

ويشير بقوله (ونفس تعالج آجالها) الى قوله تعالى : « واذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » •

ويشير بقوله (مقادير تنزل أنزالها) الى قوله تعالى : « انا كل شيء خلقناه بقدر ، وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » (٢) •

ويشير بالبيت الرابع من هذه الأبيات الى قوله تعالى : « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه •• » الآيات ••
وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابية ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية (٣) •• الآيات ، والى قوله تعالى:«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(٤) •

ويشير بقوله (وخف الموازين بالكافرين) الى قوله تعالى : «فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية •وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هية ، نار حاميه »(٥) •

ويشير بقوله (وزلزلت الأرض زلزالها) الى قوله تعالى : « اذا زلزلت الأرض زلزالها »(٦) •

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ •
(٢) القمر : الآيتان (٤٩ ، ٥٠) •
(٣) سورة الحاقة من الآية : ١٩ الى الآية ٣٧ •
(٤) سورة الزلزلة الآيتان (٧ ، ٨) •
(٥) سورة القارعة من الآية : ٦ الى الآية : ١١ •
(٦) سورة الزلزلة •

والأبيات الخمسة تعود كلها الى معنى عام فى القرآن الكريم وهو قول الله تعالى « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (١) .

وهكذا كان الشعراء المخضرمون يصدرون فى شعرهم عن معانى الاسلام ريرددون كثيرا من ألفاظه فى شعرهم ، ويقتبسون من القرآن الكريم اذا لزم الأمر ، ويستحضرون معانيه الكريمة فى شعرهم من الرحمة والود والوفاء والبر ومقابلة السيئة بالحسنة وما الى ذلك .

وكثيرا ما تتردد الحكم المنبثقة عن روح الاسلام ومبادئه الكريمة فى شعرهم فهذا أبو ذؤيب الهذلى الذى أدرك الجـاهلية والاســلام وأسلم وحسن اسلامه ، وجاهد فى سبيل الله ، وقبل وفاته بعام واحد توفى له خمس من البنين فى وباء فرثاهم جميعـا بقصـيدته العينية المشهورة التى يقول فيها :

أودى بنى وأعقبــونى غصــة
بعد الرقــاد وعبــرة لا تقلع
فغبرت بعدهم بعيش نــاصب
واخــال أنى لاحق مســتتبع
واذا المنية أنشـبت أظفارهـا
ألفيت كل تميمــــة لا تنفــع
والنفس راغبــة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنــع (٢)

---

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٨١ .

(٢) ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية جـ١/ص ١ .

وهذا نهشل بن حرى تظهر الحكمة واضحة فى شعره الذى يرثى به أخاه مالكا حين قتل فى معركة صفين فيقول :

أناس صالحون نشأت فيهم
فأودوا بعد الف واتساق
أرى الدنيا ونحن نعيش فيها
مولية تهيا لانطلاق
أعاذل قد بقيت بقاء قيس
وماحى على الدنيا بباق (١)

وهذا ابن مقبل الذى قال عنه ابن سلام : (انه كان جافيا فى الدين وكان فى الاسلام يبكى أهل الجاهلية)(٢) •

فهو كان مسلما مخضرما الا أن ميوله الجاهلية كانت كثيرة ، ومع ذلك فقد ظهر فى شعره ما يدل على روح الاسلام وحكمه ومعانيه ورقة ألفاظه ومن ذلك قوله فى حكمه المقتبسة من روح القرآن ومعانى الاسلام :

هل الدهر الا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح
وكلتاهما قد خط لى فى صحيفة فلا الموت أهوى لى ولا العيش أروح(٣)

وهذان البيتان يشيران الى معنى قوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (٤) •

(١) أمالى المرتضى ٢٢٦/٢ •
(٢) طبقات الشعراء ١٢٥ •
(٣) الحيوان : للجاحظ ٤٨/٣ •
(٤) سورة الحديد : الآية : ٢٢ •

ومن حكمه الشعرية أيضا قوله :

النـــاس همهم الحياة ولا أرى
طول الحياة يزيد غير خبـــال
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الأعمال(١)

والبيت الثانى من هذين البيتين يشـــير الى معنى قوله تعالى : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا »(٢) •

ومن الشعر الذى ظهـرت فيه روح الاسلام واضحة قصـــيدة حسان بن ثابت فى الرد على وفد تميم •

يقـــول حســـان :

ان الذوائب من فهر واخوتهم
قد بينوا ســنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرتـــه
تقوى الالهو بالأمر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
ســجية تلك منهم غير محدثة
ان الخلائق فاعلم شرهـــا البدع
ان كان فى الناس سباقون بعدهم
فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم
عند الدفاع ولا يوهون مارقعوا

---

(١) الطبرى : ٥/٢٩ •

(٢) سورة الكهف : الآية : ٤٦ •

ولا يضنون عن جار بفضلهم
ولا يمسهم فى مطمع طبع
لا يجهلون وان حاولت جهلهم
فى فضل أحلامهم عن ذاك متسع
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم
ومن عدو عليهم جاهد جدعوا
خذ منهم ما أتوا عفوا اذا غضبوا
ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
فان فى حربهم — فاترك عداوتهم —
شرا يخاض عليه الصاب والسلع
لا فخر ان هم أصابوا من عدوهم
وان أصيبوا فلا خور ولا جزع
كأنهم فى الوغى والموت مكتنع
أسد ببيشة فى أرساغها فدح
أعطوا نبى الهدى والبر طاعتهم
فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا
ان قال سيروا أجدوا السير جهدهم
أو قال عوجوا علينا ساعة ربعوا
ما زال سيرهم حتى استقاد لهم
أهل الصليب ومن كانت له بيع
نسموا اذا الحرب نالتنا مخالبها
اذا الزعانف من أظفارها خشعوا
اذا نصبنا لقوم لا ندب لهم
كما يدب الى الوحشية الذرع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
اذا تفرقت الأهواء والشيع

أهدى لهم مدحى قلب يؤازره
فيما يحب لسان حائك صنع
فانهم أفضل الأحياء كلهم
ان جد بالناس جد القول أو شمعوا

مناسبة القصيدة :

لما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم ، وهم سبعون رجلا ، منهم الأقرع بن حابس وقيس بن عاصم والزبرقان ابن بدر وعطارد بن حاجب وعمر بن الأهتم والحبحاب ونعيم بن بدر وقيس بن الحارث وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى — وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن قد شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنين والطائف ، فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم — فلما دخل الوفد المسجد نادوا رسول الله من وراء حجراته : أن اخرج الينا يا محمد ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالوا فقد جئناك لنفاخرك وجئنا بشاعرنا وخطيبنا ، فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس : فقام الأقرع بن حابس فقال : والله ان مدحى لزين وان ذمى لشين • ثم قالوا — أى الوفد — انا لأكرم العرب • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم• فقالوا : ايذن لشاعرنا وخطيبنا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس فقال : نعم « قد أذنت لخطيبكم فليقل » • فقام عطارد بن حاجب فقال : « الحمد لله الذى له الفضل علينا بهدايته ، الذى جعلنا أعز أهل المشرق وآتانا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وليس فى الدنيا مثلنا ، أو لسنا برؤس الناس وذوى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد علينا مثل ما عددناه ولو نشاء لأكثرنا ، ولكنا نستحى من الاكثار فيما خولنا الله وأعطانا •

أقول قولى هذا ، فأتوا بقول أفضـــل من قولنا أو أمر أبين من أمرنا • ثم جلس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس : « يا أخا بنى الحـــارث قم فأجب الرجل فى خطبته » فقـــام فقال : الحمد لله الذى السماوات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ووسعهن علمه ، ولم يكن الخير الا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقـــه رسولا ، أكرمهم نسبا ، وأصـــدقهم حديثا ، وأفضلهم حسبا ، وأنزل عليه كتابه ، وأتمه على خلقه • وكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس الى الايمان به ، فآمن برسول الله عليه السلام المهاجرون من قومه ، أكرم الناس أنسابا وأفضلهم أحسابا وأحسنهم وجوها وخيرهم فعالا •

ثم كان أول الخلق اجابة ممن استجاب له حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، نحن معشر الأنصـــار ، فنحن أنصـــار الله ووزراء رسول الله ، نقاتل النـــاس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله حق جهـــاده وكان جهاده علينا يســـيرا • أقول قولى هذا واســـتغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم » •

ثم قالوا ايذان لشاعرنا فقال : نعم • فقام الزبرقان بن بـــدر فقـــــال :

نحن الكرام فلاحى يفاخرنا
فينا الملوك وفينا السادة الرفع
وكم قسمنا من الأحيـــاء كلهم
عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن يطعم عند المحل مطعمنا
من السديف اذا لم يؤنس القزع

فما ترى الناس تأتينا سراتهم
من كل أوب هويا ثم يندفعوا
فننحر الكوم عبطا فى أرومتها
للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
ولا ترانا الى حى ننـــازعهم
الا استقادوا والا الرأس يقتطع
فمن يعاد لنا فى ذاك نعرفـــه
فيرجع القول والأخبار تستمع
انا أبينـــا ولم يأب لنا أحد
انـــا كذلك عند الفخـــر نرتفع

وكان حسان غائبا فبعث النبى صلى الله عليه وسلم اليه • يقول حسان : « فلما أتيت الى النبى عليه السلام قال : أجب شاعر القـــوم قلت : مـــاذا قال : قال : فـــأمره فأعاد قـــوله ، فلما فـــرغ قلت فى معارضته »وأنشد القصيدة :

« ان الذوائب من فهر •••• » مرتجلا اياها •••• (١) •

التعليق على القصـــيدة :

فى العام التاسع للهجرة النبوية الشريفة أتت الوفود من أنحـــاء الجزيرة العربية الى المدينة المنورة حيث الرسول — صلى الله عليه وسلم — مقيم بها ، لتعلن اسلامها • وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قبل مجىء الوفود قلقا على الدعـــوة يتمنى دخول الناس فيهـــا جميعا ، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله تعالى : « اذا جـــاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمـــد ربك

(١) انظر : الأغانى ، المجلد ٢ ص ٥٠٤ ، وما بعدها ، طبعة كتاب التحرير •

واستغفره انه كان توابا » • وجاءت الوفود وأعلنت اسلامها وحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه على ذلك •

وكان من عادة الوفود أن تصطحب معها شعراءها وخطباءها ليفاخروا بأحسابهم وأنسابهم وليتحدثوا بلسان أقوامهم • على الرغم من أن النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الهجاء بالأعراض وعن الفحش فى القول وعن الفخر بالأحساب والأنساب وجعل الفخر بالاسلام والهجاء بالكفر ، وقد استجاب المسلمون لهذه المبادىء الكريمة • وقد أثر عن بلال بن رباح الحبشى قوله :

أبى الاسلام لا أبالى سواه   اذا افتخروا بقيس أو تميم

وكان وفد بنى تميم من الوفود التى أتت النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا لما يزالوا على غظاظة قولهم وغلظة قلوبهم وآذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الغلظة حين نادوه من وراء حجراته ، وقالوا له يا محمد إخرج الينا فقد جئناك لنفاخرك • فنزل قول الله تعالى :

« ان الذين يناونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » •

وأذن النبى صلى الله عليه وسلم لخطيبهم عطارد بن حاجب فألقى خطبته ولشاعرهم الزبرقان بن بدر فألقى قصيدته ، ثم أذن لخطيبه ولشاعره فردا عليهما بما أفحماهما به فما كان من الوفد الا أن أقروا لخطيب النبى صلى الله عليه وسلم ولشاعره بالتفوق على خطيبهم وشاعرهم فقالوا على لسان (الأقرع بن حابس) مندوبهم : « والله ان هذا الرجل — يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم — لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا » وأعلنوا اسلامهم وانقيادهم وطاعتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم •

والشاعر فى هذه القصيدة يمـدح النبى صلى الله عليه وسـلم ويفاخر لا بأحسابه وأنسابه كما فعل التميميون وانما بأصحابه وأخلاقهم الكريمة وخصالهم الحميدة التىكانت طبيعةفيهم غير مبتدعة ولا محدثة. كما يشيد بهم وبمنهجهم الاسلامى الذى أضحى منارة يهتدى النـاس بهداها ويسلكون سبيلها . فهم كالنجوم من اقتدى بهم اهتدى . وهم أقوياء ، وصفهم الله تعالى بقوله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » فى الحرب يضرون أعداءهم ، وفى السلم ينفعون أشياعهم ، لا يعتدون وان حاول الأعداء استثارتهم ولكنهم أسبق الناس فى مواطن السباق، وأفضلهم فى مواطن الفضل . نصروا نبى الهدى وانقادوا له وانصاعوا لكلمته وانضووا تحت لوائه يجاهدون فى سبيل الله ، ومازالوا كذلك حتى استقاد لهم اليهود والنصارى . وقد تخلقوا فى حروبهم بأخلاق الاسلام فلا يفخرون ان أصـابوا من عدوهم نصرا . ولا يخـورون ويجزعون اذا هزموا أمامهم . فهم قوم كرام عظام أصـحاب شـيم كريمة وأخلاق حميدة وحق لهم اشادة النبى صلى الله عليه وسلم بهم ودعوته للاقتداء بهم حين قال صـلى الله عليه وسـلم : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وهذه القصيدة وحدها ترد على القائلين : بأن شيطان حسان كان فى الجاهلية أقوى من ملكه فى الاسلام . وكأن الاسلام أضـعف من شاعريته . وقد نسى هؤلاء أن حسانا دخل الاسلام بعد السـتين من عمره ولو بقى على كفره لضاع شعره وخمل ذكره ككثير من شـعراء الجاهلية ولكن الاسلام جدد له شباب شعره ورفعه فوق السـماء ، ويكفى أنه شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم . ويكفى أن الاسـلام ومعانيه وقيمه وشريعته كل ذلك مادة الهامه . ويكفيه شهادة وفد بنى تميم — فضلا عن شهادة غيرهم من العرب — الذين جاءوا بشاعرهم الذى أعد قصدته ونقحها وهذبها وأنشدها على مسامعه ومسامع قومه قبل أن يأتى،ثم يقف له حسان ويرتجل قصيدته على نمط أبياتهم تماما

من حيث الوزن والقافية ، أى على (بحر البسيط) وعلى حرف الروى (العين) وهذه هى قمة البراعة والتفوق ، بالاضافة الى أنه نظم قصيدة وهم نظموا أبياتا ومعانيه وتعبيراته تفوق معانيهم وتعبيراتهم، وقد أنطق الله أحد كبرائهم وعظمائهم فشهد شهادة حق وانصاف لحسان ولثابت بن قيس ، وفضلهما على شاعرهم وخطيبهم •

أثر الاسلام فى القصيدة :

بدأ الشاعر موضوعه بوصف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والحديث عن مناقبهم وأخلاقهم وشريعتهم التى رسموا خطوطها للناس وتركوها لهم طريقا معبدا • وسار فى موضوعه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشيد بأصحابه ، من أول بيت فى قصيدته الى آخر بيت فيها ، وهذا ما يسمى بالوحدة الموضوعية ، التى لم تتحقق فى الشعر الجاهلى ولا فى شعر صدر الاسلام ، اللهم الا بعض القصائد ومنها هذه القصيدة التى معنا الآن •

وربما التزم حسان فى هذه القصيدة منهجا واحدا وموضوعا واحدا لأن شاعر بنى تميم فى أبياته كان كذلك ، وما جاء حسان الا ليرد عليه فقط • وربما لأن الموقف كان لا يتحمل مطالع وتعددا فى الأغراض واسهابا فى الموضوعات ، وانما كان الموقف موقف مفاخرة ومنافرة ، هم يفاخرون بأنسابهم ، وهو يفاخر برسول الله وأصحابه • وهم يفاخرون بخصال الجاهلية التى هى خصالهم وطبائعهم ، وهو يفاخر بأخلاق الاسلام التى هى أخلاقهم وشيمهم ، فضلا عن أنه قد ارتجل القصيدة ليرد بها على المفاخرين ، ورسول الله جالس ينتظر ماذا يقول حسان ؟ اذن فالموقف جد عصيب ، ولا وقت للمطالع التقليدية أو للتعدد فى الأغراض والموضوعات •

وقد كان حسان موفقا كل التوفيق فى اختيار الفاظه التى غلب عليها الطابع الاسلامى •

فهو فى وصـــفه لأصحاب رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فى السلم ، يصفهم بأنهم : ذوائب — بينوا سنة للناس تتبع — يرضى بهـــا من كانت سريرته تقوى الاله — أخلاقهم سجية قديمة فيهم — لا يضنون عن مولى بفضـــلهم — فى فضل أحلامهم متسع — أعفة — لا يطمعون — نالوا كرامة أصدقائهم — أعطوا نبى الهدى طاعتهم — أفضل الأحياء كلهم ••• الخ •

ويصفهم فى الحـــرب بالقوة والبأس ، فهم : اذا حاربوا ضروا عدوهم ولا يرقع الناس ما أوهت أكفهم — وكل سبق لأدنى ســـبقهم تبع — وكم من عدو عليهم جـــاهد جدعوا — أجدوا السير جهدهم — استقاد لهم أهل الصليب ومن كانت لهم بيع — فى حربهم شر يخاض عليه الصاب والسلع — وهم يســـمون اذا الحرب نالتهم مخالبها — لا يفخرون ان هم أصابوا من عدوهم لأنهم قد تعودوا النصر فى كل حرب ولا يجزعون اذا هزموا أمام أعدائهم — كأنهم فى الوغى أسد — اذا عادوا أقواما جاهروهم بالعداء ولا يخادعونهم لأن الخداع ليس من شيمتهم — فهم أفضـــل الناس جميعا اذا جـــد بالناس جد القـــول أو شـــمعوا •

وهكذا واتت الشاعر قريحته وساعده طبعه وألهمه الله تعـــالى ألفاظه وعباراته وتراكيبه فكان موفقا كل التوفيق وأقر له المفـــاخرون بالســـبق •

وقد ظهر أثر القرآن الكريم واضحا فى ألفاظ الشاعر وتعبيراته ومعانيه ومن ذلك تلك الكلمات : سنة — تقوى الاله — شرعوا — نبى الهدى والبر — طاعتهم — رسول الله — الوحى — العفة — الشيعة •

ومن ذلك أيضا تلك المعانى التى تأثر فيها بمعانى القرآن الكريم •

فقــــوله :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

هذا البيت قد أخذ الشاعر معناه من قول الله تعالى : « أشــداء على الكفار رحماء بينهم »(١) •

وقول الشاعر : لا فخـر ان هم أصابوا من من عدوهم • مأخوذ من معنى قول الله تعالى : « ان الله لا يحب كل مختال فخور »(٢) •

وقول الشاعر : «وان أصيبوا فلا خور ولا جزع» مأخوذ من معنى قوله تعالى : « فما وهنوا لما أصــابهم فى سبيل الله وما ضــعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين »(٣) •

كما تأثر الشاعر فى بعض ألفاظه ومعانيه فى هذه القصيدة بحديث رسول الله صلى الله عليه وســلم • ومن ذلك قوله : « ان الخــلائق فاعلم شرها البدع » متأثر فيه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما معناه : « ألا ان شر الأمــور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » •

وقوله : « أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم » مأخوذ من معنى قوله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصــاصة »(٤) ، ومن قوله تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف »(٥) •

---

(١) سورة الفتح : الآية : ٢٩ •
(٢) سورة لقمان : الآية : ١٨ •
(٣) سورة آل عمران : الآية : ١٤٦ •
(٤) سورة الحشر : الآية : ٩ •
(٥) سورة البقرة : الآية : ٢٧٣ •

الى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى استقى منها الشاعر معانيه وألفاظه • وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ايمان الشاعر وترسمه خطى الاسلام ، فهو يصـــدر عن معانيه ويذب عن حياضه • وهو بذلك يجبر وفد بنى تميم وغيرهم من النـــاس على احترام مبادىء الاســـلام ورجاله الأعـــلام ورسوله عليه الصـــلاة والســـلام •

— وغير ذلك كثير من الشعر الذى تأثر فيه أصحابه من المخضرمين بالاسلام ومعانيه وأساليبه وألفـــاظه وقيمه • وكل ذلك أثر فى طباع الشعراء ونقلهم نقلة ثانية اختلفوا فيها عما كانوا عليه فى الجـــاهلية وما طبعوا عليه فى حياتهم الأولى من غلظة فى الطباع وفى التعبير وفى الأغراض الشعرية والمعانى •

الخـــاتمة

بعد هذه الجولة التى قضـــيناها مع الشعر الاســـلامى فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، عرفنا من خـــلال البحث والدراسة أن الشعر لم يكن مذموما كله ولم يكن ممدوحا كله، وانما هو كلام،ومن الكلام طيب وخبيث ، وما وافق الحق منه فهو خير وما لم يوافق الحق منـــه فهو شر ، والشـــعر بهذا المعنى قد ورد فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التى روتها الســـيدة عائشـــة رضوان الله عليها وسجلها ابن رشيق فى كتابه (العمدة) •

وما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فى أحـــاديثه لا يختلف مع القرآن الكريم وما قرره فى قضـــية الشعر والشعراء ، اذ أنه قد ذم ومقت الشعراء المشركين الذين يهيمون فى كل واد من أودية الشـــيطان وهى أودية شر ، ثم كان الاستثناء للشعراء المؤمنين من عامة الشعراء لأن المؤمنين يهيمون بشعرهم فى أودية الخير ويوظفون شعرهم وفنهم لخدمة الاســـلام والدعوة • ولذلك كان النبى صـــلى الله عليه وسلم يطرب لكل شعر يأمر بفضيلة وينهى عن رزيلة ويدفع الناس الى الحق والخير والعدل ، حتى ولو كان من غير المؤمنين بالدعوة الاســـلامية ، ولو كان أيضا من الشعراء الذين لم تدركهم الدعوة • وقد مر بنا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ما وصف لى شـــاعر فأحببت أن أراه الا عنـــترة » •

وعرفنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوجه الشـــعراء الى المفهوم الصحيح فى الشعر ، وكان ينقده ويتأثر به ويفضل منه ما وافق الحق ودفع اليه •

وعرفنا كذلك أن الشعر الاسلامى لم يضعف عن ذى قبـــل ولكن حدث فيه تعديل فى المفهوم والمضمون وبعض الأغراض الشعرية كمـــا

هذبت النصوص الدينية من نفوس المؤمنين بهـا ورققت من طبـاعهم وألفاظهم ومعانيهم .

ولا تعنى هذه الرقة ضعفا فى التعبير . وانما تعنى قوة فى التعبير واتساعا فى الأغراض الشعرية لأن الاسلام قد أعطاهم المـادة التى يصيغونها والموضوعات التى يعبرون عنها . بالاضافة الى أن حفظهم للقرآن الكريم وتمثلهم به وترسمهم طريقه وسلوكهم منهجه جعل معانى القرآن تغلب عليهم فتأثروا بها تأثيرا مباشرا فى شعرهم . وقد ذكرنـا نماذج من شعرهم تدل عـلى غلبة الطابع الدينى والروح الاسـلامية عليـه .

ولما كان أغلب شعراء عصر صدر الاسلام من المخضرمين ، فقـد وضح أثر الدين فى شعرهم أكثر ، اذ أنهم لم يؤمنوا الا بعد تعقـل وروية ويقين من أن هذا الدين الذى دعا اليه محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام هو الدين الصحيح ، فنبذوا عبادة الأصنام وانخرطوا فى الدين الاسلامى ينهجون نهجـه ويهتدون بهديه ويسـلكون سبيله ويتبعون تعاليمه ويدافعون عنه بالسنان واللسان .

وقد تحدث كثير منهم فى شعره عن قصة اسلامه ونبذه للأصـنام التى لا تنفع ولا تضر ولا تغنى عنهم من الله شيئا .

ومن هؤلاء الشعراء : خزاعى بن عبدنهم الذى أخذ هديه ليذبحه أمام صنمه الذى يعبده ويعظمه تقربا اليه وزلفى ، واذا به ينظر الى صنمه ويحدث نفسه : انه اله أبكم لا يعقـل ، فأين له ممن يعقـل ؟ ودار به التفكير وأخذ يتأمل فى الهه الصنم وفى الدين الذى جـاء به محمد صلى الله عليه وسـلم ، فقام من فـوره وكسر الصـنم وأعلن اسلامه . وقال من شعره :

ذهبت الى نهم لأذبــح عنده
عتــيرة نسك كالذى كنت أفعــل

فقلت لنفسى حين راجعت عقلها
أهذا اله ؟ أبكم ليس يعقــل

أبيت فدينى اليوم دين محمد
ورب السماء الماجد المتفضل(١)

ومنهم : حكيم بن أمية بن حــارثة السلمى الذى تبرأ من قــومه وعنفهم لايذائهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيهم شريفــا مطاعا فقال :

هل قائل قولا هو الحق قاعد
عليه ؟ وهل غضبان للرشد سامع

وهل سيد ترجو العشيرة نفعه
لأقصى الموالى والأقارب جامع

تبرأت الا وجه من يملك الصبا
وأهجركم مادام مدل ونــازع

وأسلم وجهــه للاله ومنطقى
ولو راعنى من الصديق روائع(٢)

ومنهم : ذباب الســعدى التميمى الذى كان يعبد صــنما يدعى (فراضا) ولكنه حين تبين له الحق وعلم أن ما عند الله هو خــير وأبقى فباع دنياه بآخرته وحطم هذا الصنم واتجه الى الاسلام متعبدا بدينه ومدافعا عنه • وفى ذلك يقول :

---

(١) الأصنام لابن الكلبى ٤٠ ، والاصابة لابن حجر ٤٢٤/١ •
(٢) السير النبوية لابن هشام ٣٠٩/١ •

تبعت رسول الله اذا جاء بالهدى
وخلفت « فراضا » بدار هوان
شددت عليه شـدة فتركته
كأن لم يكن والدهر ذو حدثان
فلما رأيت الله أظهر دينـه
أجبت رسـول الله حين دعانى
فأصبحت للاسلام ماعشت ناصرا
وألقيت فيهـا كلكى وجـرانى
فمن بلغ سعد العشـيرة أننى
شريت الذى يبقى بآخر فان(١)

ومنهم : العباس بن مرداس سيد قومه وفارس الحلبة فى زمانه قد ورث عن أبيه صنما يدعى (ضمار) كان أبوه يعبده فعبده هو واهتم به اهتماما كبيرا لأنه اله فى نظره ، ولأنه من مخلفات أبيـه ولكنه فى أثناء عبادته لهذا الصنم شرح الله صدره للاسلام وأبان له الرشد من الغى : فانشرح صدره لما شرح الله صدره اليه وتوجـه نحو مكة والتقى بالرسول صـلى الله عليه وسلم وبايعه على كلمـة التوحيد وصار من جند الله المدافعين عن دينه بالكلمة وبالسيف معا . وها هو يتحدث فى شعره عن ايمانه بالله ورسوله وتركه لصـنم أبيه (ضمار) فيقـول :

لعمرك انى يـوم أجعل جاهلا
«ضمار» لرب العالمين مشاركا
وتركى رسول الله والأوس حوله
أولئك أنصار له ما أو لئكا ؟

(١) الطبقات الكبرى ٣٤٢/١ ، نهاية الأرب ١٥٣/١٨ .

كتارك سهل الأرض والحزن يبتغى
ليسلك فى دعث الأمور المسالكا
فآمنت بالله الذى أنا عبـده
وخالفت من أمسى يريد المهالكا
ووجهت وجهى نحو مكة قاصدا
أبايع نبى الأكرمين المباركـا
نبى أتانا بعـد عيسى بناطق
من الحق فيه الفضل فيه كذلك
أمين على القرآن ، أول شافع
وأول مبعوث يجيب الملائكـا
تلافى عرى الاسلام بعد انتقاضها
فأحكمها حتى أقام المناسكا(١)

ومنهم : عمر بن مرة الجهنى الذى أسلم وحسن اسلامه بعد أن كان سادنا لصنم فى الجاهلية يعبده ويعيش له ، ولكنه بعد تفكر وتأمل تبين له أنه على ضـلال فى عبادته لهذا الصـنم ، وأنه يجب عليه أن يحطمه وأن يتوجـه الى رب الأرض والسماء ، وبالفعـل فقد حطم صنمه وتوجه الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم وبايعه على الايمان بالله وحده لا شريك له وأن محمـدا عبده ورسوله وأصبح من خـيرة المسلمين الأوائل . وقال هو فى ذلك :

شـهدت بأن الله حق وأننى
لآلهـة الأحجـار أول تـارك
وشمرت عن ساقى الازار مهاجرا
اليك أجوب الوعث بعد الكادك

---

(١) الأغانى ١٤/٢٨٥ ، الاصابة ٢/٢٦٣ .

لأصحب خير الناس نفسا ووالدا
رسول مليك الناس فوق الحبائك(١)

ولم يتوقف الأمر عند اعلان اسلامه بل أخذ يطوف بين القبائل يدعو الناس للاسلام ولعبادة الله الواحد الأحد ونبذ عبادة الأصنام. فان فى الدين الاسلامى الخير كله اذا ما اهتدوا بهديه وتمسكوا به ، ومن خيره الأمان والاطمئنان ونبذ الحروب التى تهلك الحرث والنسل وتدمر كل ما تمتد اليه . فيقول عمر وهو يدعو الناس الى دين الله :

ألم تر أن الله أظهر دينه
وبين برهان القرآن لعامر
كتاب من الرحمن نور لجمعنا
وأحلافنا فى كل باد وحاضر
الى خير من يمشى على الأرض كلها
وأفضلها عند اعتكار الضرائر
أطعنا رسول الله لما تقطعت
بطون الأعادى بالرضا والخواطر
فنحن قبيل قد بنى المجد حولنا
اذا اجتلبت فى الحرب هام الأكابر(٢)

وغير ذلك كثير من الشعراء الذين عبدوا أصناما لهم وتعصبوا لها ودعوا الناس لعبادتها ، ولكن الله تبارك وتعالى شرح صدورهم للاسلام ، فحطموا أصنامهم وعبدوا الله تعالى عن يقين ، ووقفوا فى صفوف المسلمين محاربين فى سبيل الله بالسيف وبشعرهم الذى كان

---

(١) الطبقات الكبرى ٣٣٣/١ ، البداية ٣٢٠/٢ .
(٢) الاصابة ٣٥١/٢ .

فى بعض الأحيان أنكى وأمضى من السيف . واستعذب هؤلاء وغيرهم العذاب والايذاء فى سبيل الله ، وفى سبيل الحق ، لدرجة أن كان عذاب المشركين لهم — بهوله وجبروته — أهون عليهم من كلمة كفر أو السجود لصنم . وكلما اشتد عليهم العذاب زادت ثقتهم فى الله، وزاد يقينهم من أنه سبحانه سيبدلهم بهذا العذاب خيرا ونعيما فى الآخرة .

وأخيرا : لا أزعم لهذا البحث الكمال ، فالكمال لله وحده ، ولا أزعم اننى قد أتيت بالجديد الذى لم أسبق به ، وانما هى دراسة تقصيت خلالها مجموعة من الموضوعات المتداخلة التى لا ينفصل أحدها عن الآخر ، ووقفت على آراء النقاد فيها بالمناقشة والترجيح ، وصولا الى الرأى الصحيح فى قضية ضعف الشعر الاسلامى وقوته ، وموقف القرآن والرسول من الشعر ، وأثر الاسلام فى ألفاظ الشعر ومعانيه وأغراضه .

وأرجو الله تبارك وتعالى أن أكون قد وفقت الى المنهج الصحيح فى عرضى لهذه القضايا ومعالجتى لها .

انه نعم المولى ونعم النصير .

المراجع

١ ــ الأخبار الموفقيات ــ الزبير بن بكار ــ تحقيق د/ سامى العانى ، مطبعة العانى • بغداد ، ١٩٧٥م •

٢ ــ أسباب النزول ــ جلال الدين السيوطى ــ مطبعة بيروت •

٣ ــ الاسلام والشعر ــ د/ سامى مكى العانى ــ مطابع الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣ •

٤ ــ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ــ ابن عبد البر القرطبى ــ المطبعة الشرقية ــ مصر •

٥ ــ الأصنام ــ ابن الكلبى ــ تحقيق أحمد محمد شاكر ــ القاهرة ١٩٥٥ •

٦ ــ الاصابة فى تمييز الصحابة ، المطبعة الشرقية • مصر •

٧ ــ الأغانى ــ أبو الفرج الأصفهانى • طبعات ساسى • والتحرير بالقاهرة وطبعة دار الكتب المصرية • والثقافة ببيروت •

٨ ــ الأمالى ــ أبو على القالى • دار الكتب المصرية • القاهرة ١٩٢٦ •

٩ ــ البداية والنهاية ــ ابن كثير • مكتبة المعارف • بيروت ، ١٩٦٦

١٠ ــ البيان والتبيين ــ الجاحظ ــ تحقيق عبد السلام هارون • مصر ١٩٤٨ •

١١ ــ تأويل مشكل القرآن ــ ابن قتيبة ــ تحقيق سيد صقر ، القاهرة•

١٢ ــ تاريخ دمشق ــ تأليف : ابن عساكر ــ تهذيب : عبد القادر بدران دمشق ١٣٢٩ هـ •

١٣ ــ تاريخ الأدب العربى ــ د•عمر فروخ ــ دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٩ م •

١٤ ــ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير القرشى ، البابى الحلبى ــ القاهرة

١٥ - جمهرة أشعار العرب - أبو زيد القرشي - دار صادر . بيروت ١٩٦٣ .

١٦ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم الأصفهاني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣٢ .

١٧ - حياة الشعرفي الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة - د. يوسف خليف - دار الكتاب العربي . القاهرة ١٩٦٨ .

١٨ - الحيوان - الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة .

١٩ - خزانة الأدب - البغدادي - مطبعة بولاق - القاهرة .

٢٠ - دراسة الحب في الأدب العربي - د. مصطفى عبد الواحد - ج ١ - دار المعارف ١٩٧٢ .

٢١ - ديوان أبي تمام - شرح التبريزي - د. عبده عزام ، القاهرة ١٩٥١ .

٢٢ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري باعتناء عبد الرحمن البرقوقي مطبعة السعادة - القاهرة وتحقيق سيد حنفي القاهره ١٩٧٤ .

٢٣ - ديوان حميد بن ثور الهلالي - تحقيق الميمني - دار الكتب المصرية

٢٤ - ديوان الهذليين - طبعة دار الكتب المصرية .

٢٥ - ديوان كعب بن مالك الأنصاري - جمع وتحقيق : د. سامي مكي العاني - مطبعة المعارف بغداد ، ١٩٦٥ .

٢٦ - ديوان كعب بن زهير ، مخطوطة الأوقاف العامة ببغداد - تحقيق د. سليم النعيمي - مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٧ .

٢٨ - رسالة الشعر في خدمة الدعوة وحركات الاصلاح قديما وحديثا د. عبد الرحيم محمود زلط ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٣ م .

٢٩ - الزينة في الكلمات الاسلامية العربية - أبو حاتم الرازي - تحقيق حسين بن فيض الله الهاني - القاهرة ١٩٥٧ م .

٣٠ - السراج المنير - العزيزي - البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٧ م .

٣١ ـ سنن الترمذى ـ الترمذى ـ تحقيق ابراهيم عطوة ـ البابى الحلبى ـ القاهرة ٠

٣٢ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ طبعات مختلفة ـ البابى الحلبى ٠

٣٣ ـ شرح بانت سعاد ـ قصيدة الصحابى كعب بن زهير ـ عبداللطيف البغدادى ـ تحقيق : هلال ناجى ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت ، ١٩٨١ ٠

٣٤ ـ شرح شواهد المغنى ـ السيوطى ـ الخانجى ـ مصر ٠

٣٥ ـ شرح المعلقات السبع ـ لأبى عبد الله الزوزنى ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ الطبعة الأخيرة ١٩٦٦ ٠

٣٦ ـ شعر المتوكل الليثى ـ تحقيق د٠ يحيى الجبورى ـ بيروت ١٩٧١ ٠

٣٧ ـ شعر النعمان بن بشير الأنصارى ـ تحقيق ٠ د٠ يحيى الجبورى مطبعة المعارف ، بغداد ٠

٣٨ ـ شعر النابغة الجعدى ـ المكتب الاسلامى ـ دمشق ١٩٦٤ ٠

٣٩ ـ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة تحقيق : أحمد محمد شاكر ـ القاهرة ١٩٦٦ ٠

٤٠ ـ الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العربية ٠ أحمد بن فارس ـ تحقيق مصطفى الشويمى ٠ مؤسسة بدران للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٦٣ ٠

٤١ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطى ـ الألبانى ـ منشورات المكتب الاسلامى ـ بيروت ٠

٤٢ ـ صفوة التفاسير ـ محمد على الصابونى ـ دار الرشيدى ـ حلب ٠

٤٣ ـ طبقات الشعراء ـ ابن سلام الجمحى ـ تحقيق : محمود محمد شاكر ـ مطبعة المدنى ، القاهرة ١٩٧٤ م ٠

٤٤ ـ طبقات الشافعية ـ السبكى ـ المطبعة الحسينية ـ مصر ٠

٤٥ ـ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ طبع ليدن ١٣٢١هـ ٠

٤٦ ـ العصر الاسلامى د/شوقى ضيف ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٣ ٠

٤٧ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسى ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٦ ٠

٤٨ ـ العمـدة فى صـناعة الشـعر ونقده ـ ابن رشـيق القيروانى ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٥ وطبعة بيروت ٠

٤٩ ـ عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ـ دار الكتب المصرية ١٩٢٥ ٠

٥٠ ـ الغزل عند العرب ـ الأستاذ/ حسان أبو رحاب ـ مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٤٧ ٠

٥١ ـ فتوح الشـام ـ الواقدى ـ البابى الحلبى ـ الطبعة الثـالثة ـ القاهرة ١٩٥٤ ٠

٥٢ ـ فى ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الثقافة بيروت ٠

٥٣ ـ كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ـ المتقى الهندى ـ مكتبة التراث الاسلامى ـ حلب ٠

٥٤ ـ لسان العرب لابن منظور ـ دار المعارف ـ القاهرة ٠

٥٥ ـ المحاسن والمساوىء ـ البيهقى ـ دار صادر بيروت ١٩٦٠ ٠

٥٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجـوهر ـ المسـعودى ـ مطبعة البابى الحلبى ـ القاهر ١٩٥٥ ٠

٥٧ ـ المفضليات ـ المفضل الضبى ـ تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، الطبعة السـابعة ـ دار المعارف ـ القاهرة ٠

٥٨ ـ مقدمة ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن خلدون ـ دار الشـعب ـ القاهرة ٠

٥٩ ـ معجم الشعراء ـ المرزبانى ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ البابى الحلبى مصر ١٩٦٠ .

٦٠ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموى ـ دار صادر ـ بيرت ١٩٥٧ .

٦١ ـ الممتع فى علم الشعر وعمله ـ عبد الكريم النهشلى ـ تحقيق د/ المنجى الكعبى ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس .

٦٢ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب ، النويرى ـ دار الكتب المصرية ١٩٣١ .

٦٣ ـ الهجاء والهجاؤون ـ د. محمد محمد حسين ـ القاهرة .

٦٤ ـ وقعة صفين ـ نصر بن مزاحم ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ ١٣٦٥ هـ .

فهرس الموضوعات

	الصفحة
المقدمة	٢
تمهيــد	
ــ قيمة الشعر عند العرب	١٣
الفصل الأول : ضعف الشعر الاسلامى وقوته وموقف القرآن والرسول منه	١٨
ــ موقف النقاد من ضعف الشعر الاسلامى وقوته	١٨
ــ موقف القرآن الكريم من الشعر	٢٧
ــ موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر	٣٠
ــ من توجيهات الرسول ﷺ للشعراء	٣٨
الفصل الثانى : الأغراض الشعرية	٥٠
ــ المديح	٥١
ــ الرثاء	٥٧
ــ الهجاء	٦٨
ــ النقائض	٧٧
ــ الفخر والحماسة	٨٣
ــ الغزل	٨٩
ــ الاعتذار	٩٨
ــ شعر الفتوح	١٠٣

الصفحة

ـ الشعر التأريخى	١١٢
ـ الشعر الدينى	١٢٤
الفصل الثالث : الخصائص الفنية لشعر صدر الاسلام	**١٢٩**
ـ الألفـاظ	١٣٠
ـ الأسـلوب	١٤٠
ـ القسم	١٤٣
ـ الدعاء	١٤٤
ـ الصور والأخيلة	١٤٦
الفصل الرابع : الروح الاسلامية فى شعر صدر الاسلام	**١٥٠**
ـ قصيدة حسان فى الرد على وفد بنى تميم	١٦٠
ـ مناسبة القصـيدة	١٦٢
ـ التعليق على القصيدة	١٦٤
ـ أثر الاسلام فى القصيدة	١٦٧
الخاتمة	**١٧١**
المراجـع	**١٧٨**
الفهـرس	**١٨٣**

رقم الايداع بدار الكتب ٥٥٧٨/١٩٨٧